عبد الاله كنون

العودة

لون الصبايا الشاحبات يخيفني
من يذكر الاقمار؟
فى ضوئها تتمرغ الانهار،
فى ضوئها تتجرد الاسرار،
والليل يجمع كل عشاق المدينة ...

وقع السنابك فى الطريق يخيفني
والفارس العريان
يهتز فى صمت المساء يوزع الاحزان
من قلة الاسلاب
ضجت سيوف القتل والارهاب
لكنه من جوعه لم يبرح الميدان .

•—•

مــن خــارج الاســوار
ياتــى ثغــاء وليدك المقــرور
فافتــــح لــه الابــواب •

•—•

كسـر عصــا التسيــار
وانصب خباءك فى المدينــة
لــم تسام الاسفار ؟ !
كــل النجوم عرفتها ..
كــل الحدود عبرتها ..
ما جئت تحمل جنة خضراء !
ما جئت تدفع غيمة زرقاء !
ما عاد الا وجهك الاسيــان
فانصب خباءك فى المدينة

طنجــة ــ عبد الاله كنون

عيســـــى فتـــوح

الشعـــر والترجمـــة

كثرت فى هذه الايام ترجمة الشعر الى اللغة العربية ، حتى صار النقل مشاعا بين المثقفين وانصاف المثقفين ... وهم مماضون فى غيهم ، وضلالهم ، ممعنون فى تشويه الآثار الادبية الرائعة ومسخها ، لا ن احدا لم يقل لهم مرة ان الشعر لا يترجم ، او انه يأتى فى آخـــر الاعمال الادبية التى تقبل الترجمة ... ولست ادرى ما هى الغاية التى يسعون اليها من وراء ترجمة الشعر دون القصة مع ان ترجمتها ايسر واسهل بمرات ، لانها لا تعتمد على الايحاء والرمز والتأشيـــر ولان الخيال فيها عادى ، او قل انها لا تعتمد على عنصر الخيـــال مطلقا ... من هنا جاءت الصعوبة فى ترجمة الشعر، ذلك لان المترجم مهما يكن قديرا ومحيطا باللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، فـهـــو عاجز كل العجز عن نقل الشعر نقلا امينا جيدا ... فما قولك بالذى ينقله وهو جاهل اصول النظم ، غير متمرس به ؟ ومع ذلك يتصدى لنقل اشعار بيرون وشلى ولامارتين وشكسبير وملتون وادغار الن

بووطاغور وغرلين ودى فيني ودى موسيه وغيرهم من عمالقة الشعر الاوربي والامريكي ٠

الشعر ان ترجم يجب ان يبقى شعرا ، فيه كل ما في الشعر من مقوما تهفنية ، لا ان يتحول الى نثر باهت مغسول دفعة واحدة ... تنقصه الديباجة ، ويعوزه الاشراق ، ويفتقر الى الروح والشفافية ... لعل العرب القدامى ادركوا هذه الناحية ، فلم يتعرضوا له ، ولم يوسعوا له مكانا في آدابهم ، ولم يعربوه في جملة ما عربوا ... فعرفوا فلسفة سقراط وافلاطون وارسطو ، ولم يعرفوا الياذة هوميروس وروائع سوفوكليس وهوراس ٠

يقول شلي : « كل شعر سام لا يحدد ، قد نزيح ستارا اثر ستار ولا نصل الى جماله الحقيقي فماذا يبقى من الجمال الذى يعنيه الشاعر اذا ترجم هذا الشعر ؟ وقال ايضا : الشعر في رائحة الوردة ولونها لا في نسيج المناصر التى تتالف منها ٠ فلغة الشعراء تظهر دائما بلون خاص ، وموسيقى لها صداها ، وبودنهما لا تكون شعرا ، فترجمة الشعر ضرب من العبث، ومن يحاول ترجمة شاعر الى غير لغته كان كمن يلقي بنفسجة في بوتقة ليكشف اسرار لونها ورائحتها » ٠ ويقول بول فاليرى : «الناثر يمشي مشيا ، والشاعر يرقص رقصا ، وهل يكون الرقص بلا وزن ؟ واين الايقاع الذى ينفق الشاعر ساعات وشهورا لاحداثه اذا ترجمت شعره الى غير لغته »٠

من هنا ندرك استحالة ترجمة الشعر حتى بالشعر ، فكيف اذا انقلب نثرا؟ افلا يتحطم الايقاع ، وتختفي الرشاقة، وينقلب الرقص الخلاب مشيا رتيبا باردا ، لعل مارون عبود كان اكثر النقاد انكارا

لترجمة الشعر عندما اشار الى ان « الشعر لا يقاس بالترجمة، وكل قطعة فنية فى كل ادب تذهب بروعتها ترجمتها، خذ الشعر الجاهلى وترجم منه ما شئت ثم قل لى ماذا ابقت منه الترجمة؟ وهذه التوراة الم تفقدها الترجمة شيئاً بل اشياء من روعتها الشعرية ؟ ...

وهاك مثلا ترجمة كليمان هيار لشعر عنترة ، فهو يقول ان عنترة هو القائل : « اننا ندور كما تدور الرحى على قطبها ، بينما سيوفنا تتفتت على رؤوس محاربينا ».

اعرفت اى بيت ترجم من شعر عنترة ؟ وهل بقى شىء يقال له شعر ؟.

ان اغلب الذين ينقلون الشعر انما يهتمون بالافكار ، ولكن متى كان الشعر افكارا فحسب ؟ وينظرون الى ما قال الشاعر لا الى كيف قال كانما الشعر يقوم بمعناه دون مبناه .. ان فيه بالاضافه لذلك روحا وفنا وموسيقى وعاطفة ... لو حاول نقلها لفشل ، وهبه استطاع ان ينقل كل شىء فهل بمقدوره ان ينقل الكلمات الموسقة ، والتمابير المنغومة ؟...

قارن معى هذا المقطع من الشعر الفرنسى لفرلين ، ولاحظ كيف ان الموسيقى اضطربت وتشوشت رغم الجهود التى بذلها المترجم ليخرج العبارة العربية بنفس مستوى العبارة الفرنسية ؟؟ اننى اتحدى اى شاعر مجيد ان ينقله الى العربية بنفس اطاره الفرنسى الانيق ...

التهنهات المتمادية	Les sanglots longs
لكمانات	Des violons
للخريف	De l'automne
تجرح قلبى	Blessent mon cœur
بحزن رتيب	D'une langueur monotone

في الشعر لغة خرساء تتفاهم بها الارواح ، فهي كموسيقى (فندلسون) غير الناطقة التي يفوق تاثير الحانها قوة الكلام ... الشعر والموسيقى روحان في جسد واحد ، فحسب الموسيقى ما فيها من الشعور ، وحسب الشعر ما فيه من النغم ، وما من شك في ان نقل اى منهما خسارة كبيرة للاخر ... للموسيقى معنى لا يقل عن معنى الالفاظ نفسها ، وهذا هو السبب في ان اللفظ المرنان يحمل في علياته طاقة أيحائية غريبة ... يمتص الانفعالات الفائضة ، والاحاسيس الخفية المبهمة ، اذ كثيرا ما تعجز اللفظة المجردة عن حمل شحنات التوتر الحاد . تامل معي هذا البيت .

عودي يــا ليالي امسنا عودي   وجددي ذكرى محروم وموعود

ولاحظ كيف ان حروف المد استطاعت ان تفصح عن حالــة الشاعر التحسرية ، فكانها صرخات اسى ومحرقة وندم على ما فات ولن يعود ... فهل ثمة ترجمة قادرة على استبقاء الجو المأســاوى الذي اشاعته الحروف المطلقة ؟

يقول الان : « الشعر اخو الموسيقى ، بمعنى انهما نشآ معا بعــد الرقص ، فكان الغناء اتحاد الموسيقى والشعر . والشعـر الغنائي يشبه الموسيقى في التكرار وترجيع القرار الذي يزيد المعنــى قوة ويجذب الانتباه الى الموضوع الرئيسي ... والشعر يشبــه الموسيقى في دلالة الاصوات على المعاني ، بحيث ان السامع يفهـم المعنى من الرنة والوقع وان هو لم يفهم الالفاظ تمام الفهم ، الا نحس بحركة الجواد في قول امرىء القيس : (١)

(١) النقد الجمالي واثره في النقد العربي نروز غريب ص ٩٥

مكر مفر مقبل مدبر معـــا   كجلمود صخر حطه السل من عل

ونسمع صوت اصطـــكاك الاسنان فى تتـــابـــع حروف الراء فى قول البحترى يصف الذئب الجائع :

يقضقض عصلا فى اسنتها الردى   كقضقضة المقرور ارعده البرد

وما قولك فى يقضقض ، وقضقضه ، افلا توحى بنفس المشهد السابق ، ولاحظ التفخيم والتضخيم اللذين اشاعهما توالى حروف الضاد فى قول بشار بن برد مفتخرا :

اذا مـــا غضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

وفى الابيا تالتالية لالبير سامان نسمع ـ كما تقول روز غريب ـ زفرة متكررة ، ورجاء صارخا يتردد تباعا فى المقاطع الطويلة الرنانة التى تعقبها اصداء كاصداء النواقيس :

Oh ! s'en aller sans violence
S'envanouir sans qu'on y pense
D'une suprême défaillance !
Silence ! Silence ! Silence !

وللموسيقى ـ كما للصور ـ اهمية كبرى عند الرمزيين ، فالشعر فى نظرهم صور موسيقية لها قوة الموسيقى التعبيرية وتاثيرها، على ان بعض الشعر الرمزى حر لا يتقيد بوزن ، ومن هنا نرى ان الشعر لا ينفصل عن الموسيقى والتكرار المتسق ، وان هو انفصل عن الوزن •

بعد ان بينا العلاقة الوثيقة الوشيجة بين الشعر والموسيقى، افيصح ان نقول ان الشعر يترجم ؟ ان فى اللغة ـ كل لغة ـ اشيـــاء دقيقة يدركها حس المترجم ، ولا يستطيع ان يحيط بها الا الشاعـــر

نفسه ، وقد يتعذر عليه احيانا ايجاد اللفظة المناسبة او الصورة المقابلة ان هو حاول ترجمة شعره ... مع ان احساسه ظل هو هو ازاء المشهد المعبر عنه ... وفى مثل هذه الحال لا يرى مناصا غير الاقلاع عن الترجمة والاقتناع بعدم جدواها الا فى الضرورات .

رب قائل يقول : نحن فى عصر تمازج الثقافات وتبادلها ، فهل ترانا نستطيع ان نستغنى عن الترجمة والنقل ؟ وجوابى هو ان ترجمة الشعر يجب الا تكون الا بقدر ، فلا يضطلع بها الا المقتدرون المتمكنون ، لان عملية الترجمة الحقة شاقة وعسيرة ، تحتاج الى نفس الجهد الذى عاناه الشاعر ابان النظم ...

ويمكننا ان نخفف من حدة المشكلة بدراستنا اكبر عدد من اللغات ، الامر الذى يساعدنا على الاطلاع على اكثر هذه الاشعار بلغتها الام ... وكم ثم من فرق بين ان نقرا القصيدة مكتوبة بقلم الشاعر ، وبين ان نقراها منقولة من لغة الى لغة ، افلا تصلنا فى النهاية ممسوخة مشوهة هزيلة .

دمشق — عيسى فتوح

مصطفى بدوى

نيسان

طال انتظار الارض يا نيسان
للدفء ، للورد
لتمتمات العطر والالحان
للحب ، للالوان
لضحكة ضاعت مع الليل
فى أبحر النار
وهامة منذ انبلاج النور
تهفو الى الغار

....

ـ اين الفراشات ومن عاقها ؟ !
عن رقة الأحلام والطهر
عن مبسم الزهر
عن الربيع الخصب فى ارضنا

هذا الربيع الراعش السم
عـن موئـد الوهـم

• • • •

نيسان ما للشمس مسودة ؟ !
هـل ترهب الانسـان ؟ !
حنـت شفاه الارض للاضواء :
وانهـارت الظلمـاء
نيـازكـا عميـاء
شقت جبين الارض بالارزاء
وانتحـرت مـن يأسهـا الانـداء
علـى شفا نيـزوف
نيـزوف يبكـى داءه القديـم
وينفـث الحمـم
هل ثم بعد اليـوم مـن الـم
يستصرخ المـدم
نيزوف قلب حـاقـد اكـول
يهـدر كالشيطـان
نيزوف لـم يخطـر بـه نيسـان

• • • •

يونوبيـا جسر من النجيـع
نعبـره والنـار فى العيـون
سقـراط والكـاس
مـا زال فى متاهـة الطريـق

يسائل النجوم
عن وجه يوتوبي وعن حلم جميل
حلم ضبابي قديم
كنا نسجناه
كنا اقتطمناه
من همسات الطير فى الصباح
من ضحكة كضابة التفاح
رفت على كون من الاطفال
لا يعرف الضغينة
غير الدمى والشهقة الحنونة
....
نيسان والمسيح
اسطورتا جمال
المتعبون استوطنوا العراء
كالقمح فى الحقول
والمنجل اللعين
يسحق راس السنبلة
تحت رحى الاقدام
....
غصت حلوق الكرم بالنبيذ
واختنقت بالشوك بالرماد
وذابت الاشواق كالرصاص
فى مقلة ، فى الموعد المعاد

هلا صدقت اليوم يا نيســـان ؟ !
هلا هدمت السجن والسجان ؟ !
هلا ارقت العطر كالسحاب ؟ !
فى التربة المخصـــال
أم ان قيدا غاضبا رهيـــب
يضم هذا الالق الحبيـب؟
اقصاك يا نيســـان ! !

....

هل من غـــد ممطر الجبيـــن ،
معصـــب العيــون ؟ !
يخطـــىء فى مسيـــره
يضـــل فى عبـــوره
ويمـــلأ الفضـــاء
بالحـــب ، بالعطـــاء
فى يـــده نيســـان
لينهـــض الانســـان
مـــن كبـــوة ، مـــن قبضـــة العـــدم
مـــن بؤرة الالـــم

كانون الثانى : ١٩٦٣ — دمشق

فـــارس زرزور

« مخلوقان عجيـــبان »

(قصة)

زحفت من بطن الجبل كتلتان بلون الصخر ، لهما اربع عيون سوداء كبيرة ارعشتا اهداف عيونهما فى وجه الشمس ثم نفضتا عن هيكلهما غبار الرمل ، ودون اى معجزة او انفعال خاص تحولتا الـــى آدميين .. كانا نادرا ما يرفعان راسيهما ، ولكنهما فعلا هذه المرة ، فضرورة الحال كانت تقضى بذلك ، فقد احسا انهما معلقان فى الفضاء والارض تحت اقدامهما غير ثابتة ، والم براسيهما دوار غريـــب ، فاغمضا عيونهما وهما يتمثلان الموقف ، سال الاول بتهيب كبير :

ـــ كيف اصبحنا هنا ؟.

ورد اخر محاولا ان يعطى اجابة صادقة قدر المستطاع :

ـــ فى الحقيقة .. لا ادرى ..

هالهما ان يريا المدينة الجبارة على هذا الشكل غير الطبيعي. كانت في الماضي تبدو لمداركهما رهيبة غامضة ، اما الان فقد استحال على عقليهما ان يجدا لهذه الظاهرة الفريدة صنعة او تغيرا . عندما طرح الاول سؤاله ، لم يكن ليعني مدلول الكلمات التي باح بها ، كان يقصد ان يقول مثلا :

« ترى هل في مقدورنا ان نرجع الى اوكارنا .؟ »

او يورد تعريفا نادرا بهذا المحيط الاسر الذي لم يالفه في حياته ، او تعبيرا خاصا عن شعوره ازاء هذه السرمدية المطلقة ولكن خانه الفهم قبل ان يخونه التعبير ، وعندما اجاب الثاني بعدم قدرته على التفسير كان يدرك جيدا ما كان يقصده رفيقه ، وبما انه عانى بشعور نفسه ، فقد كان موفقا عندما رد : (في الحقيقة لا ادري).

ان كلا منهما يعرف جيدا كيف وصل الى بطن الجبل .. ولم يكن ذلك بفعل ايد سحرية : وقوة خفية فقد حمل الاول من باب الجابية على ظهر عربة يجرها بغل ، وتلاه الاخر من الزرابلية على عربة مشابهة ...

ثم التقيا هنا دونما سابق خطة او ترتيب ، وقد انتقاهما متعهد بناء له خبرة واسعة باصحاب العضلات والهياكل القوية ، ليحفروا بطن الجبل ويستخرجا منه الرمل ، وعند الظهيرة استغنى فجاة عن خدماتهما بعد ان قاما بمهمتهما على خير ما يرام .

كان فلاحين من حوران ، من تلك الجموع الاخرة الهائلة التي هاجمها غول الجفاف سنين متعاقبة . فتركت اراضيها للدود واكتسحت طرقات المدينة لتعشش في منافذها واسواقها الضيقة ، ولتقوم بالاعمال

التى تكفل لها سد الرمق ، والمحافظة على استمرار الحياة ، دونما قيد او شرط . او اى اعتبار من الاعتبارات التى تحس الشخصيـــة والكرامة والطاقة الجسدية ، فلم يكن لهذه العناصر ، مجتمعـة او متفرقة ، اى شان فى حسا باحد ، فهى الراسمال الوحيد الذى يمكـن طرحه للبيع دون اعتبار لجدول الارباح والخسائر ..

حين افاق الفلاحان على ادميتهما ، وطرقا اجفانهما فى وجـه الشمس ، شاهدا السماء بمقلهما المرملة تتلون بالوان تغرى بالانطلاق من اى حيز وفكر كل منهما فى ان يصبح شيئا خارقا لا يمكن تحديدة .. ولو كانا من قليل الخبرة .. لاثرا ان يتحولا الى طائرين او شاعرين او شىء من هذا القبيل ، ولكنهما رجعا الى واقعهما فى اقل من لمـح البصـــر :

(ينبغى ان نكسب الوقت ونبحث عن مستاجر جديد)

كانت شمس الظهيرة قد ارتكزت فى كبد السماء لا تريم : وكانما اوركها التعب فتوقفت لينعم بها الكون باسره ، وعلى جميـع الابعاد كانت المعالم تذوب مع بعضها لتتشكل معابر جديدة لم يسبق لاى منهما ان حلم فيها ، والى الجنوب .. اقصى الجنوب تخيلا الارض لـم يكن هناك افق كالافق الذى يعهدانه فزرقة السماء لم تكن ممتزجـة بسمرة التراب كما يحدث عادة عندما كانا فى الماضى يطلان بعيونهما من وراء المحراث . لم يكن هناك شىء .. ظلال . مجرد ظلال باهتـه لا لون لها . كانت الوانا لطيفة رائعة ولكنها فارغة لا توحى بالشبـع وفكر كل منهما بصمت :

« انا ... من انا ..؟ وفى اى مكان اوجد ؟ يبدو اننى عاجز عن ان اقيس نفسى الى هذا العالم .. الى هذا العدم .. اننى لا

افهمه . لا بد اننى عظيم وتافه بان واحد ولهذا لا استطيع ان اعرف اهميتـــى ..»

ولم يدم تفكيرهما هذا غير لحظة قصيرة ، فرضاها استراحة كانا فى غنى عنها ، ثم ما لبثا ان افهمنا شرعا فى هبوط الجبل . وكـــان بمقدورهما ان يوفرا الجهد الذى بذلاه من اجل الاسراع ، فلم يدخل فى حسابهما يوما ان يهبطا مرتفعا اذ لم يصلا ابدا الى قمة .. من اجل هذا وجدا نفسهما يهرولان دون ان يتمالكا اقدامهما او يحدا من سرعتها المتزايدة . وتجاوزا سطوح المنازل الاولى وهما يضحكان ويهرجان . ثم سقطا فى حفرة كالبالوعة ففرت امامهما بغتة اوجدا نفسهما بعدها ينحدران فى طريق منسكب هو الجادة السابعة من احد ازقة المهاجرين.

وعندما لمحا الترام يهدر فى القاع حاولا عبثا السيطرة عـــلى اندفاعهما الجنونى خشيا ان يفقدا زمام ساقيهما فيجرفهما ذلـــك الحيوان الرهيب . كانت انفاسهما تتلاصق ولكن دون جهد وفكر كل منهما « لا شك ان الهبوط اسهل من الصعود » ولم تطف هذه الفكرة على لسان احد فهما ، فقد عرفا انها بديهة لا تستحق الجدل .

وفى تلك اللحظة لاح لاعينهما مشهد يستحق الاهتمـــام ، فى منتصف الطريق تقريبا ، كان رجل يصرخ ويهوى بعصاه على مؤخرة كتلة كبيرة الحجم لها اثنان مميزتان ، وقال الاول :

— اظنــــه حــمـــارا .

ورد الثانى مؤكدا :

— لا بد ان يكون كذلك

لم يكونا من انصار الرفق بالحيوان وذلك لسبب بسيط ، هو اعتقادهما بان لاتفه حيوان منزلة توفر له المعاملة اللائقة ، وتقيه شر

الظلم والتعسف فضلا عن ان فى صدر كل منهما ذكرى مشبوهة مـــا يمكن تجاهلها فقد ترك هناك بهيما كان صديقه ومعينه الوحيد يقضى معه النهار فى طرقة الارض ويشكو اليه افراحه واحزانه وعندما غادر الفلاحون قراهم سرحوا بهائمهم لترسم بحوافرها طريق رزقها المقسوم

وصمت ظنون الرجلين عندما وصلا الى المكان ، كان هنـــاك حمار حقيقى غائص تحت حمل ثقيل فلم يبرز منه غـــير الـــراس ، تسمرت قوائمه فى الارض ترفض ان تتزحزح انملة واحدة ، وقـــد بدا واضحا ان الدابة قررت قرارا اكيدا لا محيد عنه ان تقف فى مكانها ، ومن الطبيعى ان هذا التصميم لم يكن قد ارتسم على وجهها ولم تبـــح به لاحد ، ولكن الدلائل منها كانت تشير الى صحته فالحمل الثقيـــل الباهظ والطريق الصاعدة بشكل عمودى البادية للحيوان كالجـــدار القائم جعلته يتمرد بصورة عضوية وبحسن نية خالصة على متابعـــة الصعود .

ورفع الحمار الى الفلاحين القادمين راسه المكدود وكانه اشتم فيها رائحة خاصة ، ثم شخر شخرة طويلة ليحذرهما من بغية الاتيان بعمل او ليشكو اليهما رصفه الشديد على خور قواه وفل عزيمته .

كذلك ساعد الحمال قد كلت ، وبح صوته من فرط الجهـــد الذى هدره فى الشتم والدفع والعزب واخيرا لوح بعصاته المحطمـــة ثم قذف بها فى الهواء وهو يغمغم بحنق :

ــ لا فائدة ... يجب انزال الحمولة ، واعترض رجل كـــان قريبا من المكان ولعله البقال صاحب البضاعة :

ــ ولكن يجب ايصال الاغراض الى الدكان :

وهز الحمار راسه وكانه يرفض هذا الاحتجاج ، فطارت من اذنيه ذبابة فرس ثم عادت الى مكانها دون ابطاء ، فيما شرع يتامـــل المخلوقين العجيبين اللذين وقفا يستعرضان المشهد .

ـ قال احدهما لاثما :

ـ مع ان حميركم تاكل الشعير

واضاف الاخر بينه وبين نفسه :

(الذي لو توفر لنا نحن الادميين لكنا على غير حال .)

ورد الحمال مدافعا عن حماره : ـ القصة يا اخوان ليست قصة شعير .. ان اى حيوان لا يمكنه صعود الجبل بهـــذه الصناديق الثقـــيـــلـــة .

ولسبب ما ندم الحمال على هذه الاجابة رغم ضرورتها ، فقد واتته فكرة واضحة وطلب الى الفلاحين مساعدته على انزال الحمولة، وزفر الحمار بارتياح وهو يلتفت الى الخلف معبرا عن استقانه لهذيـــن المخلوقين الظريفين برمعان متلاصق من خيشوميه الواسعتين وحدث بعد ذلك ما كان يتوقعه الحمال فقد جرت مفاوضة بسيطة بين صاحب البضاعة والمخلوقين العجيبين ختمها الاول بهذه الحكمة البيضاء :

ـ سبحان الله .. لهذا فضل الله بنى آدم على الحيوان .

وضحك الحمار فى سره :

(فليكن .. ان ذلك)

ثم عبر عن سخريته من سائر الحكم بان رفع جحفلته الـــى الاعلى وراح يكشر فى وجه الشمس .

كان كل من الفلاحين قد تمنطق بحبل فى وسطه قطعـــة مـــن الكباد يلصقها على جبينه عند رفع الاثقال ، وقد برزت من تحت شملته

البالية قبضة من الشعر كانت تتخذ على الدوام لون آخر مهمة يقــوم بها . وقد احاطت بقدميه سيور من الكاوتشوك نزعت من اطار عجلة السيـارات .

اما الهيئة العامة فكانت لتنافرها تحض المشاهد على الاعتقاد بان صاحبها قد تخلى نهائيا عما يحس بالذوق السليم ، وعلى هذا ملا يمكن للانسان العادى ان يشعر بحضرة امثال هذين المخلوقين باى حرج ، كما انه يستطيع ــ بكل بساطة ــ ان يوكل اليهم القيام باحط الاعمال او اصعبها دون ان يضيع وقته الثمين فى المساومة او وزن الاعــتــبــارات .

وانحنى الرجلان على صناديق الفاكهة والصابون والاشياء اخرى ، يتقاسمانها الى حصتين ، فيما كان البقال يسائل نفســـه بتــوجــس :

ــ ترى هل بمقدورهما ان ينهضا بها ؟.

وبسرعة فائقة وبخبرة من له مائة عام احاط كل من الرجلان صناديقه بالحبل ثم جثم وراءها مسندا اياها الى ظهره ، لاصقا قطعة اللباد الى ناصيته و .. صرخ البقال بعزم :

ــ يا لله .. يا قوى ..

وكانه استشعر بالحمولة تنقض على كاهله ونخمد منــــه الانفاس ، ونهد الفلاحان براسيهما الى الامام ثم اندفعا واقفيــن فطقطقت مفاصلهما كما لو انها تتقصف ، وحال كل منهما حول نفسه قبل ان يتخذ وضعا تتوفر فيه الراحة للحمل ، وما ان حرك قدمــه ليخطو خطوته الاولى ، حتى وجد نفسه بناد الى نصفين ، بحيث اصبح

راسه قريبا جدا من قدميه . ولاول مرة لاحظ احدهما ان ابهام قدمه اليمنى ينزف دما فتذكر بانه احس في فترة ما من فترات النهار بالم خاص ياكل ناحية من جسده ، غير انه ابان انشغاله في حفر الجبل نسى الالم واسبابه ولكن الالم لم ينسه ، ظل يلوح عليه طوال الوقت حتى اصبح عادة كريهة يصعب التخلص منها وقال الرجل في نفسه وهو يركز انظاره على الظفر المقلوع :

(ساصب عليه عند عودتى قليلا من البترول وبذلك ينتهى الالم)

ومن ثم اقنع عينيه بالنظر الى مكان اخر ، وتمنى لو يستطيع ان يرفع راسه قليلا ليرى الطريق الصاعدة امامه ، ولكنه فشل ، القى نفسه مجبرا على ان يظل منحنيا الى الاسفل . وراح يجاهد ضد عاملين قاسيين اشد القسوة بالطريق الصاعدة على نحو عمودى والحمل الثقيل الذى يهد حيله ، وفي لحظة ما ساءل نفسه :

(ترى هل ذلك حقيقة .. ان الله فضلنا على الحيوان .؟)

ومن سوء الحظ انه كان يفرض نفسه آدميا ، ودليله الوحيد انه في الاحوال العادية يمكنه السير على قدمين ، ولكنه الان يكاد يمشى على اربع .. وانه ليتمنى ذلك بكل بساطة ، على السير بهذه الطريقة يصبح اقل مشقة وامتلا من خواطره صوت زميله الذى بدا مبحوحا ضائعا وسط الزفير :

— اظن انهم سيعطوننى دية البنت .. الا تظن ذلك ؟

كان هذا قد هبط على المدينة مع بناته الخمس ، فاجر الكبرى كخادمة ، واودع الباقيات زاوية على رصيف النهر في الزرابلية . ولكن لو اعطانى السائق نقودا فستحل المشكلة من تلقاء نفسها ..

وكان الاخر يفكر على منوال آخر :

(اذا قبضت الان ربع ليرة اجرة حمل الصناديق فسيكــون معى ليرتان ..)

كان تفكيرهما فى جميع الحالات يؤدى الى نتيجة واحدة . النقود . فقد رهن كل منهما ارضه فى السنة التالية للجفاف ، وهــو الان يعمل ما استطاع ليوفر قليلا ويحرر الارض من الدائنين وعــاد الاب يستشير صاحبه :ــ انهم هنا كما علمت ــ

يعتبرون قضية الدهس كقضية القتل .. اليس كذلك ؟ وعلى هذا ساخذ دية كما حدث عندما ذبح نواف الصالح .. وفكر الاخر :

(ترى الا يحس هذا الرجل مثلى بانه يكاد ينسحق تحــت وطــاة الصناديــق ..؟

وخــلــد الاب الى افكــاره :

(ان البنات مفيدات على اى حال .. على ان لا يمتن ميتته طــبــيــعــيــة).

كان بدوره يشعر بان الحمل انقض ظهره ، وكان يعمل فى نفسه خــلال الحديــث :

(اذا بدرت من صاحبى اية بادرة فى الاستراحة فانى ساجلس عــلى الفــور).

وربما يكاد الان يتحدث عن ابنته القتيلة من قبيل التسليــة واضاعة الوقت ولينسى حالته البائسة التى كان عليها ، وعندما يصمت كان يحس بان الصمت يرهق صدره اكثر مما يفعله الحمل الثقيل .

كان الرجلان يرقيان المرتفع مكورين على نفسيهما ، وقــد ضاعت منهما المعالم الادمية ، كانا عبارة عن كومتين ثقيلتين مكونتين من اشياء يصعب تصريفها .. ارجل متورمة ، وسروالين مغبريــن ،

ومواد اخرى مجهولة ومختفية عن الانظار ، تتميز منها انفاس لاهثة وعيون ياكلها الرمض ، وقلبان يعتصرهما القلق اكثر مما يؤثر فيهما الكدح الشاق المتواصل .

وجرض ذو الاصبع الدامية ريقه بصعوبة ، كان يختمر فى راسه المكدود سؤال او حديث غريب يصعب نطقه . وفى كل مرة كان يؤثر الصمت انه لا يفهم شيئا ، كان يقول فى نفسه (نحن كنا فلاحين .. واسمنا فلاحون .. اما الان فمن نحن ولو كان يعرف جيدا انه سيجد الاجابة عند زميله لصارحه فى القضية ولكنه لم يكن واثقا من ذاك ، فضلا عن انه فى هذه الاونة وجد ان السؤال او مجرد الكلام يتطلب جهدا فائقا لا ضرورة لمعاناته ، وعلى هذا فقد راح يستغرق فى احلام مبهمة .

واحيانا يوهم نفسه بانه يحلم ، دون ان يدرى بانه يفعل ذلك ببلاهة غريبة ، وظل يتمنى ، ولو لحظة قصيرة ، ان يفلح فى تجريد ذاكرته من هذه الحقيقة التى يدعوها جسده ، كان يلاحظ — وهو يجر قدميه او يصغى الى زحف اقدام زميله — بان الطريق ثابتة فى مكانها لا ترجع الى الخلف كما هى البادرة التى يلاحظها السائر ، وخيل له لفترة معينة بانه يسير على شريط يتحرك الى الوراء بحيث لم يصل من يمشى عليه الى اى مكان ..

وهناك بادرة ساعته كثيرا وراحت تعذبه بداب فقد لاحظ بان الكل بدا يتسرب الى اعماقه ، وارعبته حقيقة بسيطة للغاية :

(ماذا لو بدات اتعب منذ الان .. من سيطعمنى .. وكيف استطيع ان اوفى ديونى وارجع الارض ..)

وفجاة احس بظلم فادح ياكل ضميره ، فانتفض بقوة ولكن كما تنتفض نملة تحت حجر ، وتصاعدت من جوفه حشرجة البهم

ف حين كان الاخر ينقب فى ذاته عن تلك النشوة التى تملكته عندما وجد نفسه منذ قليل فى احضان الجبل ، يذلل جبروت المدنية الظالمة التى تمضغه بقرف دون ان يتلذذ بطعمه واغمض عينيه ليتخيل الابنية المرتفعة تلصق سيور حذائه المحترق وغامر ذو الاصبع الدامية بكل رصيده من افكار واطلق من جوفه صفيرا غامضا شبيها بنقيق الضفدعة :

— اننى لا افهم .

وفتح الاخر عينيه وارهف اذنيه رغم عدم استعداده لسماع اى شىء ... واستطرد الاول قائلا :

— ان الفلاحين .. لهم دائرة او وزير او ما اشبه ذلك ..

على كل حا ليوجد فى الدولة من يهتم بأمرهم .. اما نحن فلا اجد .. اعنى .. لا ادرى كيف اعبر ..

— انظرى يا بنت هل بوجد احد فى الطريق .؟

وردت الخادمة بعد لحظة : لا يا ستى .. لا يوجد احد ..

وكانت الخادمة سليمة النية عندما اجابت ، فقد اطلت من الشرفة ولم تر احدا ، لاحظت فقط وجود كومتين مبهمتين تتحركان كالسلاحف وسفحت المراة صفيحة الماء من الاعلى فثار رذاذه على الارض محملا بالغبار والبصاق والنفايات وبكل ما تحمله الاحذيه فى نعالها ، ثم لطخ وجهين مدفونين تحت الاعماق ولسق الاول شرفبه وهو يغمغم : — اظن .. قلبى يحدثنى .. بان الله سينزل المطر .. ويصيح الاخر كالمخنوق :

— الله يبعث الخير .. وظل الطريق يمتد صعدا ..

«أخطاء ترتكب في حق برخت»

ملخص بحث للاستاذ كلودروا

تلخيص : حســـن المنيمـــى

يعتقد الكثير من رجال المسرح والدارسين لاعلامه ان « برتلـــو برخت » كاتب صعب الادراك لشدة عقلانيته ، جاف الطبع ، بعيد من كل احساس انسانى . على ان هذا الحكم فى الواقع ليس الا مجرد مجحفة تنم عن رغبة افرادها فيما ينشدونه من متعة رخيصة تكمن فى المسرحيات الهزيلة البناء المحشـــــوة بالاحساسات الساذجـــــة اللا منتظمة . اذ متى استقرأنا اشعار مؤلفنا الالمانى منذ محاولاتـــه الاولى الى الان لمسنا ان هذا الرجل لا يريد ان يكذب تعليميا حـــاد التفكير الا لكونه يحمل فى ثناياه عاطفة زاخرة وقلبا متوقدا ، وهـــو لذلك يجدر الا يكون لبقا الا فى حدود الظرافة والصداقة الطيبة ، وما كان قط عدوا للدعة أو الرفق ، بل كان يجرى وراءهما دون تقصير لان الاحساسات كما يقول « تدفعنا الى عقلنة الجهود لانارة حيـــز

الشعور » ، ولذا فمن البلادة ان يتحسر الانسان او يتألم في ساعة الخناق والضيق دون ان يقوم بشيء لم يجابى . إذ عوضا ان نبكي حظ الفقراء الذين هزمتهم قساوة البرد علينا ان نعمل على تدفئتهم ونكون عادلين نحوهم . وحتى اذا كان من اللائق ان تقتحم الشفقة قلوبنا فان هذه الشفقة تغدو عديمة المفعول اذا كانت ترمى الى مواساة من يحسها دون من هو في حاجة اليها او لا يستطيع اقتناءها لانها تتلاشى في الطريق وفي مغاور التعاطف .

واذا وضعنا « برخت » في ميدان السياسة فهو يتجلى واضح الاحساسات يحاول ان يحصل منها ذات منفعه دون ان يستغني عنها ، وقد حدث له ان اصطدم مع من كان يذهب بعيدا عن فكرته ورسالته ، من ذلك ان السنوات الاخيرة التي عاشها كانت مطبوعة بصراع عنيف صامد ضد دعاة الستالينية الجامدين الذين كانوا يظهرون التعسف المفرط والخشونة العقيمة في حل اعمالهم بعد ان كانوا يمقتون الاقناع عن طريق المجاملة السلبية :

« ان النعل يشبه النعل دائما ،
هو يدوسكم . افهمتم ما اقول :
لستم في حاجة الى سادة جدد ــ بل الى التضحية »

وفي عالم الاستتيك للاخراج المسرحي والتشخيصي كان «برخت» يثير انتباه رجال المسرح الى ضرورة الاحتفاظ بعقلية انتقادية وترك مسافة بعيدة بين الشعور والتعبير دون اللجوء الى المبالغة ، وهذا ما دفعه الى اسداء النصيحة لجماعة من الممثلين كانوا يتدربون على احدى مسرحياته سنة ١٩٥٣ حيث قال لهم : « اذا كان ممثلوا المسارح الاخرى يظهرون في غالب الاحيان عقلية مصطنعة فان

ممثلينا يشبهونهم قليلا فى ذلك ... ولتحاشى كل اغراء سطحى فاننا نفتقر الى حيوية طبيعية . نحن نسعى الى مشاركة الاشخاص فى ادوارهم ، ولكن ذلك لا يمنعنا من تقمص شعورهم وابرازه فى منتهى صورته وكماليته . وليس على الممثل ان يكون خجولا باردا بل لا بد ان يحفزه شعور متدفق حماسى »

وبذلك نلاحظ ان التراث الشعرى البريختى يناقض كل تراث تعليمى طفيف القوة ، لان برخت يجتاز مراحل التطور للوصول الى الصفاء والانطلاق لا الى الجمود والفتور . وحتى فى اشعاره الغاضبة الجياشة التى تعكس شبابه الطامح نجده خشونة الشاعر مصقولة بنزعة ميتا فريقية تصارع الموت والعدم واغتصاب الوجود للانسان . ولنا فى قصيدته « لطافة الكون » خير مثال لها يقوم به البشر . فالطفل يأتى الوجود عاريا ليعمر الارض الباردة ثم تقمطه والدته . والحيران يتخبط فى سيره ويتساءل عن سبب خلقه ثم يجد من يقوده . اما الاموات فهم يوارون التراب على يد زملائهم واخوانهم . تلك كانت نظرة برخت الى الانسان فى شبابه . ومع مرور الاعوام اصبح شعره ينغمس فى مضمون الشعر الصينى الذى يقوم على الشعور الخالص الصافى المهذب والتعقل الرصين كما نرى ذلك من خلال الابيات التالية التى ضمنها ذكرى فتاته مارى التى كانت عزيزة لديه :

« ذات يوم ، فى زرقة شتنبر
كنت استرجع تحت خوخة يافعة
اعانق حبى
حبى الذابل الهادىء ، حلمى الجميل

ونوقنا ، فى فسحة سماء الصيف
كانت غمامة جاثمة ، اتبع سيرها ،
بيضاء ، تائهة فى الفضاء .
فلما رفعت راسى الى السماء
كانـــت قد ذهبـــت
ومنذ ذاك اليوم ، سبحت اقمار عديدة
فى الســمـــاء
ثم ذهبـــت بدورهـــا
وكذا اشجار الخوخ تحطمت ،
وربـ واحد يسالنى عن محبوبتـــى
فاجيبه انى لا اذكر شيئا .
ومهما كنت اعرف سبب السؤال
فانـــا نسيت محياها ،
لا اعرف عنها شيئا سوى انى
كنت اقبلها .
وحتى القبلة ، كدت انساها
منذ زمان ، لولا الغمامة
التى لا زلت اراها والى الابد
لانها كانت بيضاء ، رخوة كالثلج .
ربما تزدهر اشجار الخوخ ؟
ربما يكون لتلك المراة سبعة اطفال ؟
لكن الغمامة ما اشرقت الا لحظة قصيرة
وعندما رفعت راسى الى السماء

كانت الرياح قد بعثتها »

واخيرا نشير الى خطأ آخر يرتكب فى حق برخت وهو الاعتقاد انه كان مدافعا ومقننا لفن ممل قامت ذى صبغة تربوية يهدف فقط الى حشو اذهان الشهود « بفتيز اسطورية » . بيد اننا نرى ذلك الرجل يصرح ان : « اللذة التى تملكنا اثناء المشاهدة هى ضرورية وكفيلة لبيان غرض المسرح ، فمن المستحيل ان نرتقى برسالة هذا الفن الى اقصى ما هو عليه او نصيره سوقا تباع فيها مبادىء الوعظ والاخلاق لان ذلك يقل من مقصوده .. وليس لنا كذلك ان نطلب منه تلقين ادنى شىء سوى ان نجنى منه الكيفية التى تحفزنا الى التلذذ بحركاتنا فى نطاق الوجود وفى ميدان العقول » ومعنى ذلك ان المسرح وان كان يضع الحلول لمشاكل اجتماعية فلا بد ان يكون حسب منطق برخت مجرد التذاذ بالنسبة للمخرجين وهذا الالتذاذ فنى كامن فى الحكمة التى تشع فى الحل المرضى للقضايا والمشاكل المطروحة،

حسن المنيمى

الصيف المـــودع

للشاعر اللبناني الكبير امين نخلــة

احمامة، تبكــى على الصيف   المــــودع ، لا علينــــا :
ابكى علينا ، يا حمامــة ،   واحملــى دمعـــا الينـــا
نحــن الذيــن هــو بهــم   ذلـك ، واسقــط فى يدينا
كنــا الملــوك على الشباب ،   وكانــت الدنيـــا لدينـــا .
كنــا الغصون الخضر فــى   كــف الملاحــــة ، والتوينا .
كنــا الرمــاح السهريــات   العوالــى ، وانكنينـــا .
نمشـــى ، ونهــرع بالشباب   اذا مشـــى الناس الهوينا .
انـــا بنينـــا للشبـــاب ،   ولــم يــدم مــا قــد بنينا .
يا فائــت الايــام : تسالك   المدامــع ، ايـــن اينـــا

بيروت ـ اميـــن نخلـــة

ربيـــع مبـــارك

الشيـــخـــة

(قــصــة)

الشيخة اقبلت ، وتسارع أطفال القرية بالنداء فى فرحة عارمـــة وأطلت النساء من فوق البيوت المتناثرة خلف الصبار وخطفت حاملات الجرار نظرات وهن على البعد حتى اذا اقترين من موكب الرجال الملتفين حول فرقة الشيخة غضضن فى براءة . صاح رجل قصير فى الستين ممتلىء ، اعور ، يدفع أمامه كرشا مكورة وشكارته العريضة تتأرجـــح على خاصرته :

ــ الف مرحبا بشيختنا العتيدة . كيف الصحة ؟

ــ بطول عمرك يا على الشواى يظهر انكم نسيتمونا

ــ تنسباك الموت ولا ننسباك يا شيخة

قال سعيد وهو رجل نحيف فى مثل عمر الشواى :

ــ سمعنا انك مريضة ونك اعتزلت العمل يا فقرية .

عبست الشيخة نفرية قليلا وفتحت اصابعها فى وجهه :

ــ خمسة وخميس فى عين ابليس . فى اتم صحة.

الاصباغ وحدها كانت تؤيد قولها ، اما شعورها الحقيقى اما فى باطنها ، كما يعرفه افراد الفرقة فقد كانت تعانى من خليط امـراض كما قال الطبيب ضعف فى القلب والتهاب رئوى وعجز فى الكبد ...

امـن الحيمـر على كلام سعيد :

ــ كلامه حق يا نفرية فمنذ لم تحضرى زفاف ابنى صدقنـا انك اعتزلت العمل .

اجابت الشيخة باقتضاب :

ــ كانت لدى دعوة سابقة . واشارت الى شيخ فرقتها ان يتبعها وتقدمها رجال القرية الى مكان الحفل ، يتناوبون عبارات الترحيب.

الشيخة امراة فى الاربعين طويلة القامة يغطى القفطان والدفينة نحافتها البالغة ليحولاها الى رشاقة . كانت نفرية يوما اسمن مـن ذلك بكثير ، يشهد بذلك الشواى والحيمر وسعيد وغيرهم ما عـدا شباب القرية الناشىء . وعلاقتها بالقرية قديمة ترجع الى ايام العز والشباب كان نجم نفرية فى قمة التالق عندما زارت القرية لاول مـرة منذ اكثر من عشرين سنة فوجدت منبعا ثرا للمال ومعينا لا ينضب بالاعراس والحفلات . فالقرية تنفرد عن غيرها بما يضفيه عليها النهر من جمال ساحر ، وما يفيضه على ابنائها من رزق ميسور مستمر مـن العمل فى معامل تصفية الماء وتوزيعه وتوليد الطاقة الكهربائية. اجتمعت هنا رفاهية المدينة ورغدها وكرم الريف وسذاجته كهذا توطدت علاقـة الشيخة بالقرية كلتاهما فى نشوة وتالق منذ اكثر من عشرين سنة لـم يمر زفاف او ختان فى القرية الا وكانت فرقة نفرية عماده وقطـب المـرح فيـه .

منذ سنتين فقط بدأت العلاقة بين الشيخة والقرية تتعثر عندما احست فقرية اشتداد وطأة المرض ، وكم حاولت التخلص من عملها ولكن الحنين كان يردها اليه فى آخر لحظة . انها تستحضر دائما وصية احدى المسنات من بنات الحرفة : « الشيخة مثابا فقرية يجب ان تعرف الوقت المناسب لمغادرة العمل حتى تحتفظ لنفسها بذكرى طيبة على الاقل عند عشاق فنها ... » لم تغب تلك الوصية عن فقرية لحظة منذ اشتداد العلة عليها فسارعت الى ضريح الولى الصالح قرب القرية حيث ازاحت منديل راسها وعقدته فى خلوة الولى الصالح ، الضريح ، طالبة منه العون ليقطع ما بينها وبين العمل بذلك اوصتها المجرمات واوقدت الشموع على رأس الولى الصالح واهدته السكر والتمر . وظنت لمدة انها سلت عملها وان المنديل المعقود والهدايا الحلوة ببركة الولى الصالح قد تذهب بالحنين الى غير عودة ولكن امواجه سرعان ما تطغى على وحدتها الكئيبة ودنيا السكون التى تعمرها وتحاول المقاومة ولكنها تنهار فى النهاية لتعاود العمل ليعود كل شىء الى الدور والتسلسل : الاعياء الشديد الولى الصالح والمنديل والهدايا الحلوة والشموع السلوان المؤقت الحشيش الجارف فالتسليم واقتنعت اخيرا بانها بكرت فى تنفيذ الوصية وانها ابعد ما تكون عن اللحظة الحاسمة ، لحظة الاعتزال وهذا الحنين فى أعماقها شاهد حى على ما تقول . ولكن لم تعود هذه المرة بالذات ؟ والى هذه القرية بالذات ؟ حتى الدعوة لم توجه اليها هذه المرة بعد ان رفضت دعوة سابقة .

هيىء مكان الحفل فى العراء ، خباءان متقابلان فرشت بينهما الحصائر فوقها العباءات والزرابى . جلست فقرية فى احدهما واحاطت بها فرقتها : الطعارجى والكمنجى وشيختان مبتدئتان تعلمهما فقرية

اصول العمل واحاط رجال القرية بالفرقة وبينهم الشواى يحيط جلسة الشيخة العتيدة بالوسائد مرحبا مناديا باحضار الشاى آمرا ناهيا كعادته فى كل حفل . ثم جلس متسائلا :

ـ كيف حال الشيخ حمو يا فقرية ؟

ـ لم اره منذ شهور . قيل انه اصبح رطل لحم بعد ان فقد البصر .

ـ مسكين كان زينة المجلس والكمنجة والنكته . .

قالت فقرية :

ـ دعنا من التاسفات وحدثنا من اصدقائكم الجدد

ـ تعنين شيخة الليلة سترينها وتحكمين .

ـ سمعنا انها « عصرية » من بنات المدينة . لقد فزتم . وانها ترقص « الشرقى » .

ادرك الشواى ما فى كلامها من تهكم ومرارة فقال :

ـ لم نسمع بالعيطة تخرج من المدينة . سترينها وتحكمين .

كانت فقرية تعرف اخلاص الشواى وتثق به فهو لا يمكن ان يستعيض عن فقرية بهذه اللقيطة من « المصريات » انهم لا شك شبان القرية من جلب هذه الشويخة الجديدة لشدما ينغص فقرية ان تترك قرية كهذه نهبا لغيرها لمجهولة لا تعرفها .

اضيئت المصابيح منذ الغروب واقبلت مجموعة من شبان القرية فى هرج تحيط بالفرقة الجديدة حتى استقرت فى الخباء المقابل ورمت فقرية خصمها ببصرها فاذا هى فتاة قوية العود مكتنزة الجسم تنطق ملامحها بالعافية وبين حاجبيها اثر وشمة مقلوعة . وابت فقرية ان تعترف لخصمها بمزية من المزايا فاخذت تهمس وتغمز هازئة معرضة .

صاح احد شبان القرية المتحمسين للشيخة الجديدة :

ــ اسمعنا من خبائك يا بابا على

قال على الشواى وهو يضع عمامته بجانبه كاشفا عن صلعته :

ــ ابدأوا انتم يا اولاد اليوم

وغمز الشاب بعينه الى الشيخة الشابة فقامت لتأدية دور جماعى مع افراد فرقتها حتى اذا انتهى هذا الدور صدحت الكمنجة بانغام راقصة متزنة تقدمت على اثرها الشيخة وحدها بين الخباءين فى رقصة فردية وتمايل القوام الفتى فى انسجام مع حركات الاطراف ونغمات الكمنجى وتعلقت الابصار وتمايلت الاعناق وتحركت الايدى مشاركة فى الايقاع وعز على فقرية ان تجد وجها تغمره واعترفت فى سرها بأن خصمها رائعة فى الرقص رائعة فى الغناء . ولكنها ستهرم يوما ايضا . ستهرمين . لقد كنت يوما انضر عودا منك وستنقلب التواءاتك انكسارات وامراضا وستلتقين حينئذ فتجدين بدل الشبان المحيطين بك شيوخا من مثل على الشواى والحيمر وسعيد وكل فضلات الحياة بل لن تجدى اوفياء من طراز هؤلاء . وهز الطرف شابا متحمسا فقام وعلق على جبين الراقصة ورقة من عشرة دراهم فازداد حماسها وتفنن الكمنجى فى النغمات والراقصة فى استجاباتها المتناسبة والمتحمسون فى تعليق الاوراق المالية وعندما انتهى الدور كان راس الراقصة وحزامها قد احيط بالاوراق الخضراء ...

وفى دورها الفردى احست فقرية باعياء شديد واشتدت نبضات قلبها وآلمها الاستواء والالتواء مع نغمات الكمنجى وصاح الشواى متحمسا مستحسنا :

ــ احسنت يا سكة زمان

زانتها سكة زمان الجامع ما تقطر به من حقيقة مرة ومن صدق . تابعت دورها تتحزم ومجاهدة وبدأت الاوراق تلتصق على الجبين وتتعلق بالحزام ومنديل الراس . منديلك تركته فى خلوة الولى وهذا منديل جديد على راسك . اتاك به الحنين الى الممل ، الحنين القاتل . ما احوجك يا فقرية الى تمدد هانىء الى امد طويل . الى الابد . تذوقى جيدا عذاب الحنين حتى لا تطاوعين مرة اخرى . وخصمك شابة لا تحلمى بمنافستها . . وعادت فقرية بعد الدور تجفف عرقها فبادرها الشواى بكاس مترعة من الخمر فاحست بيدها تتداخل منكمشة فى الكاس فى امتناع وفى اللحظة لمحت خصمها تفرغ كأسا فى جوفها مقهقهة فتسلمت فقرية الكاس وتجرعته بدورها . « الروج » الخبيث هو ما افسد صحتها . . والاجهاد واحست بالغثيان يستولى عليها ورغبة صادقة فى القىء . ما كان اصدق قول الطبيب . وبعد الكاس الثالثة اختفى الغيثان وذكرى الطبيب واخذت انجم السماء تبسم شيئا فشيئا واحست فقرية بانها عادية ، عادية تماما كما كانت منذ اكثر من عشرين سنة . الهدوء والفرحة تشملها وقامت الخصم لدور جديد وسرى الطرب فى كلُ كف ولسان وضع الشواى صندوق الخمر بجانب فقرية وقام الى الراقصة الشابة ينزع منديل راسها صائحا :

ــ سوالف الحرير يا بخيلة .

شعرها مقصوص يا فقرية . فوزك الاول لا تفوتى الفرصة اطلقى شعرك الطويل عندما يحين دورك . وافرغتفقرية كأسا قبل ان تقوم لدورها واطلقت شعرها فاستدل الى ما دون عجيزتها ونزع الحيمر جلابته وقام يراقصها ناشرا فوقه سوالفها الحرير فاحست بعافية الشباب تعاودها من جديد اجهدت نفسها فى الدور واخذت تطوف على

الجلوس واحدا واحدا متلقفة الكؤوس من اليمين والشمال فى دور طويل لم تعد تتذوق شيئا . وانهت دورها واتجهت الى مكانها .

قال سعيد وهو يفرغ كأساذ جوقه :

ــ هل سمعتم باناس بحمام قص جناحيه ؟

قال الشواى :

ــ اعاجيب آخر الزمان

استأنف سعيد :

ــ عجبت له كيف يطير ؟

ــ ولماذا يطير ؟ انه لا شك يعيش فى قفص .

ــ كلا سمعت انهم جهزوه بمحرك

وتجاوبت الضحكات والاهات .. فاستأنف سعيد :

ــ يا ويل الصياد اذا اصاب خزان البنزين

ــ يجب ان يسدد الى الراس !

ــ اذا لم يكن الراس مقصوصا !

قالتها فقرية فى الوقت المناسب واحست انها اصابت الهدف فساهمت فى الضحكات المترددة العالية ولكن لماذا تضحك هى ؟ الاخرى؟ الخصم لماذا تضحك ايضا ؟ الم تفقه انها مدار النكتة ؟ ام تظنى انسا صاحبة الراس المقصوص ؟ وتلمست فقرية شعرها الطويل . ولكن لماذا تمعن الكلبة فى الضك ؟ اظن النكتة انتهت منذ زمان فلماذا تضحك الاخرى فى الخباء المقابل ؟ لماذا يسترسلون فى الضحك جميعا ؟ ورفعت فقرية عيناها الى المصابيح والنجوم فاذا بها تتحرك ولا تستقر فى مكان. لماذا تضحك الكلبة باستمرار ؟ واحست فقرية بيد تمسح صدرها ، يد الشواى فنادرته بلسان مستعض :

ـ ماذا جرى ؟

ـ لا شيء . قيء خفيف

ـ من ؟ قيء خفيف ؟

واحست بامتلاء فى فمها ولزوجة تنساب على صدرها فى دفقات قوية لم تتحرك ولكنها ولكنها ركزت عينين باردتين فى الكلبة التى ما تزال تضحك وتشير باصبعها تجاهها وتقرع الكؤوس فى جوفها تباعا ، وانت ايضا يا فقرية يجب ان تأخذى كؤوسا من اليمين ومن الشمال . لا استطيع الالتفات جوارحى لا تطيعني . خذى اذن كأسا من الموت ، واليد ما تفتأ تمسح صدرى والقهقهات تتجاوب من كل ركن . ترى هل يتزوجنى الشواى ؟ لانقطع عن العمل ؟ وهشمت بيدها الواهنة على وجهها تطرد الفكرة وكبت عن لسانها لتقول :

ـ من صاحبة الدور ؟

ـ يجب ان تنامى

ـ والدور ؟

وتراءت لها الاخرى تتلوى كالرقطاء وخلفها شبح يمارس جذب حبل يئن يجب ان تكف من الحركة هذه الرقطاء والنجوم والمصابيح والناس وانا يجب ان يكف الجميع عن الحركة . ليثبت كل واحد فى مكانه حتى اقوم بدورى . ساغمض عينيى . ولكن النجوم بسمائها وراء عينين ، داخل الاغماض ترقص بحركة لا معنى لها غير اثارتى . لو تزوجت الشواى لكنت الان نائمة فوق سرير هادىء . ومر امامها الشواى منذ اكثر من عشرين سنة لم تكن بشاعة عينيه كما هى الان كانت خدشا بسيطا وشكارته كانت جديدة وأكثر امتلاء وكان يذوب حبا يضع كل ما يملك تحت قدمى فقرية لتتزوجه وهى تمانع فى دلال

وغرور ، كفى عن ذكرياتك البالية خرفت وخرف الشواى كما خرف الشيخ حمو . تماسكى حتى لا يقولون استبد بها السكر وعندما تكف الرقطاء عن الحركة ستؤدين دورك . الولى الصالح لا يد له على الحنين كم وضعت من مناديلى على راسه ، فى خلوته كم اوقدت من شموع ووضعت من هدايا حلوة ومرة ، لينقذنى . الولى الصالح لا سلطة له على الحنين الى العمل . استغفر الله سامحنى ايها الولى الصالح . ها هى ذى الرقطاء قد انتهت . تماسكى جيدا . انا اصحى ما اكون لابد من تادية الدور . لا تريد النجوم ان تقف . ساقف انا . اين يدى . آه ربطونى اثقلونى حتى لا اؤدى الدور . حسنا سأرقص جالسة راسى لا تطاوعنى .خيط الصبح اين انت ؟ الشمس وحدها تستطيع ان تنقذنى ، ان تثبت لى وتختفى النجوم .

. . . .

احست بالحرارة تلسع ظهرها عند ما افاقت مقرية فى الظهيرة فوجدت نفسها ملقاة على بطنها عند عمود الخباء وثلة اكوام تغطى فى النوم ما تزال . وكؤوس وزجاجات وكمنجة مكسرة وتذكرت حكاية الرقطاء والنجوم فلم تجد لها من اثر . استجمعت قواها وقامت تسير بخطى متقاربة وراسها يتمايل ثقلا اتجهت فى طريق جانبى عن مركز القرية ولاح لها ضريح الولى الصالح من بعيد وضعت يدها على راسها متلمسة منديلها سيكون آخر ما تضمه فى خلوة الولى الصالح ستودع العمل والحنين الاخر مرة وتعلقت عيناها بقبة الضريح عندما احست خطوات خلفها التفتت فاذا هو الشواى :

— . . .

— الى ايـن ؟

ــ الى اين يا فقرية

ــ الى جوار الشيخ حمو الضرير اعتزلت العمل لم تعد لـــي ـــــه رغبـــة . . .

ــ فلنمض معا .

اسندها اليه وعندما ابتعدا عن القرية بمسافة طويلة تذكرت فقرية ما تجاوزت الضريح التفتت بحسرة ولكن يدا قوية كانت تمسكهـــا تدفعها الى الامـــام .

البيضاء ــ م. ربيـــع

رشــدى العامــل

الســادسة مساء

الساعــة المتعبــه
انــا نعــد الثــوان
توقظنــا دقاتها المرعبــه
الساعة ، اللينة ، الطويلة المتعبــه
كأنهــا كــل خفايــا الزمــان
نذكــر فيهــا اينمــا نهــرب
انــا الــى لا مكــان
ننــام فى صحــو عذاباتهــا
الساعــة المتعبــة السادسه
الساعــة البائســه
فيهــا نلاقــى كــل ما نرهــب
انبــاء قتلــى ، وبقايا جريــح
وخافــق يستريــح
خلــف جدار السجــن ،

والمغــرب
يمضـــى الينـــا ...
انها السادسه
الساعة البطيئة الناعســه
نذكر من نهوى ومن نكــره
فى كــل مــا نكــره
فى الساعــة السادســـه
....
الساعــة السادسه
تسحقنـــا حتى بقايـــا الثوان
تجــب ان لا تنطفي ، أن نــرى
فى بعض ما نحلم عيــن الزمـــان
تنظرنا ، تلقى بنـــا ، تلعــب
تحــت خيـوط الوهــم ،
والمغــرب
يمضـــى بنـــا فى مكــان
نحلـــم ، ان لا ينطفى الملعــب
فى الساعــة السادســه
ان لا نرى دقاتهـــا يائســـة
ان لا نرى كــل خفايا الزمـــان
فى ضربـــة موجعــة ، يائســة
فى الساعــة السادســه

١٩٦١ ـــ بغــداد

عبـــد الرزاق المرانشـــى

الســـخـــرة ...

(اقصـــوصة)

غدا بداية الموسم .. ليستعد الجميع !

كلمة وباء ينتشر ، او فى طريق الانتشار الطف وقعا على اهالى القرية الوديعة من سماع كلمة السخرة غدا .. وككل عام مضى ، وككل عام سيأتى ستقتاد جماهير القرية الى العمل فى حقول السادة مكرهة تحت سياط البشر والشمس !

سينتشر الخبر فى القرية ، فيغلى الاستياء ، ولكن الاستياء فقط، حدة فى النظرات وشزر وحقد وكلمات استياء مجهضة .. هـــــذا كل شىء ...

انطلق اعوان القائد فى جماعات ، يطوفون على اكواخ الفلاحين البئيسة ، ليبلغوا الاوامر الى الناس .. الاوامر هذه السنة صارمة.. لا احد يعفى من السخرة ..

ثلاث دقات عنيفة .. وصيحة مخزنى .. واحيانا رفسة رجل قوية وصرير باب كوخ يتداعى ويتمايل كالسكران .. هذا كان مصير كل باب يصمد امام طرقات الاعوان !

الاوامر تلقى ولا احد يناقش .. هذه مادة ورثناها من اجدادنا فلا داعى لالغائها السخرة واجب على كل واحد ..

وتوقف اعوان القائد امام كوخ حقير .. بقايا رجل فى جلباب قذر تطفر وراء الباب المخلوع .. عبارات استفسار واستغراب منقوشة على اخاديده حدة النظرات تتلاشى رويدا امام تكشيرات المخزنى :

ـــ انه اصم .. لقد كدنا نكسر الباب .. اين كنت ؟

حملقة تعسة فى الباب المكسور .. ونظرة مسروقة الى اعوان القائد .. وجواب فى طريق الظهور .. لكنه يخرج مبتورا ..

ـــ كنت نائما .. ماذا حدث ؟

ـــ اسمـــك ؟

ـــ موحـــا ...

ـــ ماذا تشتغل ؟

ـــ افتـــش !

ـــ ؟ !

ـــ افتش عـــن شغل ..

ـــ التزم الجد .. نحن لا نلهو .. اسمع الاوامر : غدا على الثامنة صباحا عليك ان تلتحق بالمركز حيث تشارك فى موسم السخرة.

تتالت الاوامر فى استعلاء ذابت معه القامة الجائعة .. حاول موحا ان يتكلم ولكنه قوطع ..

ـــ ماذا تريد ان تقول ؟

ــ لا استطيع ان اعمل هذه السنة .. السخرة فوق طاقتى .. بى من الضعف ما ترى يا سيدى ..

وكادت الاستعطافات ان تتحول الى تراتيل صلاة .. تراتيل من مخلوق الى خالق .. المخزنى فى قرية هو كل شىء .. الخالق لم يرضى عن التراتيل .. لحظة واحدة .. وعقب مساعد القائد على صدر السى موحا .. اول رفض صريح يلتقاه المعاون ..يجب ان يقبر فى حينه .. الصدر المضلوع يتعالى فى تصميدات مفزوعة .. نظرات من تحت الى فوق لا تنقطع .. يبدو الا شىء غير السماء فوق اوامر القائد ..

ــ كيف تجرا ان تتفوه بهذا امام ممثل القائد ..

وانتبه موحا الى نفسه .. اخيرا ها هو يصبح جريئا .. بدا يتحسس الرجل الجاثية على صدره يحاول ان يزيحها .. انه جرىء لانه استطاع ان يقول بانه عاجز عن ان يسخر !

تمتمات هى بدايات لكلمات جديدة تموت على شفتين موحا !

ــ اسمعت الاوامر ..

ــ سمعتها .. ولكنى لا استطيع ان اعمل !

تحدى .. تحدى لا شىء بعده ، حالة خطيرة تواجهها القرية لاول مرة ، نظرات الريبة تنتقل بين افراد المخازنية .. لابد ان يكون مجنونا وإلا كيف استطاع ان يعصى !

الرجل القوية بدات ترتفع عن صدر الرجل المطروح .. انتظم نفسه، وانتفض كالمقرور بدا يتأمل فى الحلقة الدائرة به.. ثلاثة او اربعة من الفلاحين تقاطروا ليشاهدوا شيئا غريبا يحدث فى القرية (واحد يتحدى السلطة .. ترى ماذا سيكون مصيره ؟!)

وتململ مساعد القائد فى وقفته وقال بصوت جهورى :

ــ الاوامر تعفيك من العمل .. اذا دفعت خمسة آلاف فرنك ..

غاب الرجل فى رحلة من الاستغراب .. وطافت على شفتيه ابتسامة هزء ..

ادفع خمسة آلاف فرنك .. اترى المعاون يهزأ بى .. هل يغريه ثوبى القذر الملتصق بجلدى بذلك . ؟

وضحك .. ضحك بكل قوته حتى افزع من حوله ..

ــ لماذا تضحك كالمجنون ؟

ــ بل لماذا يضحك ما دام ليس مجنونا .. ما دام يعى هذه المفارقات ..

القرية كلها تعرف انه لم يجد شيئا فى الاسبوع الماضى يدفن به ابنته المسلولة التى ماتت .. دفنها بسرعة واهمال .. اهال عليها التراب كجيفة يجب التخلص منها ..

ــ اؤكد لكم ان هذا المقدار لم يتجمع فى يدى خلال حياتى الا مرات قليلة .. لن استطيع بهذا ايضا !

ــ ستذهب الى السجن اذا لم تنفذ الاوامر ..

ارتياح وانبساط على سحنته موحا . اترى هم كرماء الى هذا الحد .. اهم جادون حقا فى اقترامهم ؟ السجن اهون من حياة متعوسة فى هذه القرية .. تاملهم وكان به خوف ان يتراجعوا عن تهديدهم !

ــ حتى السجن لن تذهب اليه ..

قالها مساعد القائد وهو يفكر .. ويتامل سجلا فى يده ..

ــ ان لك ولدا .. اليس كذلك ؟

وهز الرجل راسه فى حركة راسية .. وتابع المعاون كلامه ..

ـــ وهو خ الخامسة عشرة .. اذا سيعمل ابنك مكانك ..

ـــ هذا لا يمكن .. لا يمكن ابدا ان يعمل ابنى .. ان يسخر وانا حى .. ابنى كان من الممكن ان يكون شيئا آخر غير هذا التائه فى الغابة وراء بقرة هرمة .. لو تعلم ..

ـــ انه سينوب عنك ..

وصاح السى موحا بحدة وهو يحملق فى الجماعة ..

ـــ وهل هناك حق فى ان اقدم انا او ابنى لخدمة ارض ليست لنـــــا .. ؟

ـــ الوقـــح .. اظهرت من وجهك ..

كلمة ونظرة مساعد القائد .. وسياط المخزنى يرتفع الى السماء وينزل كالقدر على الجسم المحموم .. جماعة الفلاحين ترقب المنظر فى حسرة وتطلع ..

ادمى تحت الارجل .. ورفسات من هنا وهناك وشمس تميـــل الى الغروب ..

ـــ الوقح .. يعصى اوامر السلطة .. الى المركز ..

واقتيد الرجل الى المركز حافى القدمين .. وخز الشوك يدمـــى قدميه رفسة اخرى قوية وهو ملقى داخل زاوية رطبة .. انه اخيــرا فى المركز ..

ـــ لقد قضينا على حالة عصيان فى مهدها ..

كلمة وصلت الى اذنه مع ضحكات .. اتكا على الحائط وانطلق فى رحلة يستعرض الحوادث .. لم يطق ان يتتبعها .. كانت سريعة جدا .. لقد كان جريئا ، المخزنى نفسه اعترف بهذا .. مصيره سيقرر غدا .. اغفاءة وغياب وقتى .

العالم يتراى خلال نوبة تخذير افيونية خلايا .. كم هو جميل ان يموت الانسان ويذهب حتى الى جهنم فى فصل الشتاء .. البقرة الهرمة ووراءها ابنه يجرى .. ابنته فى قبر منسى .. باب الكوخ مكسور .. هو فى سجن .. اخذ يحملق كالابله فى الحيطان القذرة .. فى الصبيحة.

الشمس التى غربت بالامس عادت الى الشروق من جديد ..

قطيع بشرى يتهافت على حقل القائد فى خنوع .. اللعنات من كل جانـــب ..

سرت همهمة وسط الجميع ..

ـــ اسمعت ما وقع البارحة ..

اخرس .. ان المخزنى يرقبنا .. ما وقع البارحة لا بد ان يتكرر.

الربـــاط ـــ ١٩٦٥/١/٢٥

محمد السولامي

حكاية ...

تريدين يا جلوتي
حكايا .. اقصها من امتي
وماذا اقول
وانت هنالك في لهفة
هنا سكن الصبر ـ واها له ـ
شهورا طوالا ، ويا ويلتي
هنا الصمت ـ اف ـ مريرا مريرا
هنا البوم ينعق واغربتي
فقدتك المزارع يا فلذتي
حكاية ظلم ثوى بلدتي
حكاية بؤس
قديمة ..

كفاس .. يشد عليه من القبضة
يصيح ...
« خطوط السنون على الجبهة
ودمع تجمد فى المقلة »
بهذه الفاس ساسحق صمتا
بهذه الفاس ساصنع صوتا
نعم ، سوف افعل ، يا اخوتى
الآم هنا هنا جنحا
وانتم عنى فى غفلة
الآم ...
الآم ...

القنيطرة ـ محمد السولامى

سعيد سوسان

الجنس والموت

((مسرحية في لوحتين))

اللوحة الاولى

((الوقت امسية من امسيات صيف .. والمكان سطح فى هيئة شرفة .. باب على اليمين .. وفى الوسط اريكة فخمة امامها طاولة مستطيلة .. فى القاع تبدو دور باهتة .. ينتهى الى الاسماع صوت شخصين يتحدثان .....))

الشخص الاول : لم يبق لدى ما اقول .. اشكرك لصراحتك وارجو الا اكون قد ازعجتك ..

الشخص الثانى : ابدا .. ابدا .. انك تقوم بواجبك ..

الشخص الاول : ثم انى اوصيتهم بان يعيدوا اليك كلب المرحومة فى اقرب وقت ..

الشخص الثانى : (بتكلف) اوه سيدى ، لكم انت طيب .. اتدرى، هو كل ما تـــركـــت لى .. وذكرياتنا .. ذكريات أيام سعيدة .. لقد مرت كطيف عابر وكأنها لم تكن . ما اشقانى !..

الشخص الاول : حاول ان تنسى ما حـــدث .. خـــذ لك اجازة .. الراحة ضرورية لك فى هذا الوقت ..

الشخص الثانى : (بانفعال) اشكرك .. انك طيب جدا .. وســـوف اعمل بنصيحتك .. سارافقك حتى الباب ..

« بعد قليل يدخل جيد » .. شاب فى الخامسة والعشريـــن .. انيق .. جذاب .. يرتمى على الاريكة بتراخ ويرسل زفرة حارة كانما انتهى من عمل مرهق .. يخرج سيجارة . يبدو عليه ارتباك خفيـــف اذ انه يضيع عودى ثقاب هباء قبل ان يشعل سيجارته بالثالث ... يسمع نباح كلب فيقفز (جيد) من مكانه ويفتت سيجارته فى سخط ..»

الخادمة : (تدخل مهرولة .. وتحمل فى يدها كلبا صغيرا)
لقد اعادوه يا سيدى . .اعادوا «روكى» الينا بـــعد غياب يـــوم طويل ..

جيـــد : (تخرج الكلمات متجمدة من فمه) اعادوه ؟ (ببرود) حسنا .. (ياخذه بين ذراعيه ويتصنع تقبيله .. يحاول الكلب ان يفلت منه) خشيت ان يحدث لك شيء .. لقد هزلت .. لم تقو ايها المسكين على فراقنا .. (ملتفتا الى الخادمة) دعينى معه لحظة ..

الخادمة : اليس من خدمة يا سيدى ؟

جيـــدا : اذا احتجت اليك فسوف اناديك ..

« تخرج الخادمة .. ما ان تختفى حتى يرمى الكلب الى الارض ويرفسه بقدمه .. يئن الكلب ويحاول الفرار ..... »

جيــد : (ساخرا) عزيزى كروكى ! لم يحدث لــك شيء يا عــزيزى روكى ! (بصرامة) تمنيت لو دقوا عنقك فخلصونى منك .. تعال هنا يا شقــى !

« يمسكه وينزع عن عنقه جرسا مشدودا فى سلسلة .. »

كم اكره هذا الجرس ! اولا .. لانى انا الــذى اشتريته .. مكرها .. ثانيا لانه يكدر على صفو خلوتى وانا احلق نشوان فى دنيا احلامى .. ثالثا لانه ينهش قلبى .. لانه يذكرنــى بك ... لقد كانت تحبك ايها الحيوان الاليف ! (ضحكــة رهيبة) اين هى الان ؟ لقد ارحت نفسى منها وسيأتى دورك يا عزيز كروكى .. (صارخا) لا تنظر الى بعينيك الثاقبتين .. لم اكن اطيقهما من قبل لانهما كانتا على ما كنت اعتقــد تنعتلنى بالغيرة .. اما الان فسوف اخمد بريقهما كــمــا اخمدت بريق عينى سيدتك .. لكن ينبغى ان اعترف لــك بجميل اسديته الى .. انى اشكرك .. اشكرك يا عزيزى لانك كنت لى حجة لا غبار عليها كى اخلص نفسي .. المسألة فى غاية البساطة ..

« يشرع فى سرد القصة دون تردد كانما رددها من قبل مرات عــديدة .. »

كنا مخيمين فى اعلى مكان بالمصيف .. وكنت انا متمــددا اتصفح مجلة حين رايتك يا عزيزى تركض والمرحومــة سيدتك (ندا) تناديك وتلاحقك لانها كانت تخشى ان يحدث

لك شيء .. لا تعارض .. لقد كانت تحبك حبا جنونيا .. حاولت ان تمسك بك لكن قدمها زلت .. فقدت توازنهــا وسقطت فى الفراغ .. هذا كل ما فى الامر .. وها انت ترى انك لعبت دورا هاما فى هذه القصة .. بل لعبت دورا اولا، وتستحق مكافأة كبيرة .. سأكافئك يا سيد الكلاب بشيء لذيذ اضعه فى اكلتك . . اما قبل ان اكـافئـك بهذا الشيء فاقض دقائقك الاخيرة فى ذكر سيدتك اللطيفة .. اذكرهــا كثيرا لانك ستنساها الى الابد كما نسيتك هى الى الابد .. الان ، دعنى استريح قليلا .. تكلمت كثيرا فى هذا اليوم .

«يعود جيد الى الاريكة ، فيستلقى عليها .. يخرج سيجــارة ويشرع فى تدخينها .. يبدو ان النور يزعجه فينهض .. يطفئه ثم يعود الى الاريكة .. لم يعد يظهر منه غير طيفه ..

فجاة ، يضاء الباب الذى على اليمين بنور دائرى .. وهاج .. قوى .. يفتح الباب فى رفق ، وتبدو (هدا) كالملاك .. ثوب ابيض فاتن يعانق الارض .. وردة بيضاء تحلي شــعــرها الشلال .. باقة ورد بــيــدها ..

تقترب ببطء كالخجلى، ويتحرك النور الدائرى معها .. تبرق عينا الكلب .. تقف اذناه .. يشرع فى القفز .. صورة حية عن الفرح ....»

هــــدا : (فى نبرات عذبة) جيد !

جيـــد : (لا يتحرك)

هــــدا : جيد .. جيد .. الا تسمعنى ؟

« تقرب باقة الورد من انفه .... »

جيـد : من ؟ من ينادينى ؟..

فـدا : جيد عزيزى ..

جيـد : هل انـا فى حلم ؟

فـدا : (فى رقة) لست فى حلم يا غال .. انى بجانبك ، وهذا اجمل من الحلم يا عزيزى .. الا تحب ان اظل بجانبك ؟ (لا يحير جوابا) انا فدا زوجتك ..

جيـد : لا اصدق .. لا اصدق .. فدا ؟ لكنك (متوسلا) لا تعذبينى .. فدا .. فدا ..

فـدا : لم تكن تنطق باسمى فى نبرة زائغة كالان !..

جيـد : فدا .. لا تعذبينى ..

فـدا : انا لا اعذبك .. ولى قلب لا يطيق رؤيتك وانت تتـالم .. هل تعرفنى اليوم فقط حتى تكلمنى هكذا ؟ (تشير بيدها الى السماء فى رقة) هنالك .. فى ذلك العالم ..

جيـد : اى عالم ؟

فـدا : فى ذلك العالم شعرت بانك حزين .. قلـت فى نفسى : انه شقى . .محتاج الى .. لا ينبغى ان اتركه وحده لالامه .. فعدت كى اخفف عنك بعض عذابك .. لكنىقرات فىوجهك سخطا علـى ..

جيـد : لم اسخط عليك قط ..

فـدا : ولا مـرة ؟

جيـد : (مرتبكا) ولا مرة .. (لحظة) اقسم لك يا فدا .. قلت انك عدت لكى تخففى عنى آلامى .. لكن ثقى بانه ليس فى الدنيا رجل اسعد منى .. كونى مطمئنة من جهتى وعودى ..

انى اشكرك لانك تذكرتنى .. انا ايضا اتذكرك دائـــما .. انك تكونين معى فى كل وقت .. فى كل لمكان .. عودى .. ارجوك . .

فـــدا : الا تخجل لمن نفسك ؟.. هل تطردنى ؟

جيـد : (ضارعا) ابدا .. ابدا .. لكن لماذا عدت ؟ ماذا تريدين منى؟ هل عدت لتنتقمى منى ؟ (فجاة) .. لكن الا زلت حية ؟

فـــدا : لا تكن غبيا .. كيف اكون حية وقد قتلتنى ؟!..

جيـد : كان مصرعك حادثة لست مسئولا عنها ..

فـــدا : اوه ، ارجوك يا جيد .. انك لا تكلم محققا .. انا زوجتك .. انسيت هذا ؟ انا الضحية .. لا يجدر بك ان تقول لى «انا» ان مصرعى كان حادثة .. لقد وضعت يدك الرقيقة على فمى .. ولو انك فعلت ذلك فى شىء من القسوة .. وعانقتنى كان لم تعانقنى قط ..

جيـد : (فى دهشـة) عانقتك ؟

فـــدا : ثم وهبتنى الى الفراغ .. كل هذا مر فى لمحة برق .. لقـد برعت فى قتلى ..

جيـد : اقسم لك يا فـدا ..

فـــدا : لم تقسم لى ؟ وعلام تقسم لى ؟ كل اولئك الذين تركتهم فى السماء يعرفون انك قاتلى .. امر آخر.. الاشخـاص «المقتولون» وحدهم هم الذين يعودون الى الارض مـرة اخرى .. الم تكن تعرف هذا ؟

جيـد : (متصلبا) اعترف ان لا

فـــدا : (تضحك ضحكة عذبة لكن رهيبة) لو كنت تعرف هذا مـن قبل لما قتلتنـــى ..

(تضحك مرة ثانية ثم فجأة) ثرثرنا كثيرا .. لنتكلم الان جديا ..

جيد : جديا ؟

فدا : لقد اجبرتني على الفراق قبل ان نصفي حسابات كثيرة .

جيد : حسابات كثيرة ؟ اية حسابات ؟

فدا : روكي مثلا « يقفز الكلب اذ يسمع اسمه .... »

جيد : ما له روكي ؟

فدا : اعترف انه كان لك بعض الحق في ان تقتلني .. لكن روكي لم يرتكب ذنبا .. لا اريد ان تكرهه هو الاخر لمجرد انك تكره سيدته ..

جيد : صدقيني .. لا اكره احدا .. لا انت ولا كلبك ..

فدا : تكرهنا يا عزيزي .. لماذا تقتلني ان لم تكن تكرهني ؟

جيد : فدا ..

فدا : وتكره كلبي كذلك .. اني رايت بعيني منذ قليل ..

جيد : ماذا رايت ؟

فدا : ايـن جرسه ؟

جيد : (مرتبكا) جرسه ؟ آه . لقد سقط منه فالتقطته كي اصلح قفل سلسلته ..

فدا : (ساخرة) او لمرة اغيب فيها عنه يسقط منه الجرس ! ..

جيد : هذا ما حدث .. ارجوك صدقيني .. لا استطيع ان اكلمك بصدق وانت لا تصدقينني ..

فدا : اصدقك يا جيد .. انما روكي .. انه الان يتيم .. وبسببك .. لا احد له غيرك ان حاولت ان تكسب صداقته .. انها

فلطتك الا يرتاح روكي اليك .. عاهدني على ان ترعساه وتحرسه . .

جيــد : هذا كل ما تبتغين ؟ سوف اعمل كل جهدي لكي يتعلق بى ويجد فى العزاء .. كوني مطمئنة ..

فــدا : اشكرك يا عزيزى ..

جيــد : (بعد برهة) اذن ما دمنا قد اتفقنا فى امر روكي ، فما اراه الان حسنا هو ان تستقر روحك فى سلام ..

فــدا : (برقة) انك لطيف .. انك اكثر من لطيف .. دعني ارتاح لحظة على صدرك لتحيا انني بدقات قلبك الحالمة ..

جيــد : (سابحا فى حلو كلماتها) لا انكر انى رايتك مرة فاتنة .. وديعة كهذه المرة ..

فــدا : انك الشخص الوحيد الذى اشعر معه بانى موجودة وانى اعيش حياتى الحقيقية .. انت الذى انتذتنى من ضلالى واخذت بيدى .. انت الذى فتحت فى وجهى باب السعادة .

جيــد : لكن يا عزيزتى ...

فــدا : لكن ما ذا ؟

جيــد : اريد ان اقول ..

فــدا : تريـد ان تقول ..

جيــد : اقول .. انى فشلت .. تحطمت .. انتهيت .. فى لحظتى الاولى كنت اتمنى لحظة ثانية .. وانا الان فى الثانية اتاسف على الاولى .. انا تافه ..

فــدا : لا تكن جبانا .. لا تندم .. انك لم تفعل شيئا الومك عليه .. كنت استحق ما فعلت بى ..

جيـــد : (كالمصعوق) ماذا تقولين ؟

فـــــدا : كنت استحق ان تتخلص منى .. انا نفسى فكرت فى ان اخلصك منى .. كنت زوجة شريرة ..

جيـــد : لم افكر فى هذا من قبل ابدا ..

فـــــدا : كنت زوجة شريرة .. ولم انتبه الى هذا فى حياتى .. انما الان كل شىء جلى امام عينى .. افكارى .. تصرفاتى .. كلها الان ترن فى نفسى توبخنى .. تخجلنى من نفسى .. كنت انانية .. عنيدة .. كنت اريد ان يكون الحق دائمـــا بجانبى حتى ولو لم يكن معى حق .. كنت افرض عليـــك آرائى .. واذواقى .. كنت اتهمك بالاهمال مع انى كنت انا المهملة .. كم ابدو تافهة حين اقارن نفسى بك ايـــهـــا العظيم ..

جيـــد : العظـــيـــم ؟

فـــــدا : اندهش لهذا ؟ انك عظيم حقا .. انك .. آه ان الكلمات تفر منى .. انك فوق الكلمات .. لكنى انا كيف كنت ..

((تنفـــجـــر بالبكـــاء))

جيـــد : حبيبتى .. لا تبكين ..

فـــــدا : (ترفع اصابعها الى مقلتيها) ماذا ؟ تنادينى حبيبتك ؟ انا بعد كل ما سمعت حبيبتك ؟ لك مانت طيب .. لكم تحاول ان تسعدنى انا التى عذبتك وحولت بيتك الى جحيم .. اريد ان تغفر لى .. انى اشعر بالذنب نحوك .. اغفر لـــى كلماتى الوقحة منذ حين ..

جيـــد : اغفر لك من اعماق قلبى .. واحبك ..

فـــدا : اشكرك من اعماق قلبى .. واحبك ..

« ينطفىء النور الوهاج فجاة .. فيمم الظلام .. »

جيـــد : (كالمجنون) فدا .. فدا .. فدا ..

ســتـــار

اللوحـــة الثانية

« بعد شهر من امسية اللوحة الاولى .. واليوم احد .. غرفة استقبال صغيرة .. نصفها الايمن غارق فى الظلمة .. باب الى اليسار يؤدى الى غرفة النوم .. وثان فى آخر الغرفة يؤدى الى الخارج ..

موسيقى خفيفة تنبعث من المانيتوفون ..

تسمع دقات على الباب الخارجى .. تدخل (مجد) من غرفـــة النوم فى بنطلون ابيض وقميص احمر مفتوح عند صدرها ... »

جيـــد : (من الخارج) مجد .. مجد ..

مجـــد : (توقف الموسيقى) واخيرا عاد .. كنت متاكدة مـــن انـــه سيرجع يوما الى .. انه يعبدنى .. لقد قتل زوجتـــه فى سبيلى .. ومع ذلك فسوف لا اغفر له غيابه عنى شهـــرا كاملا ..

« تفتح له الباب ... »

جيـــد : (يريد الدخول) هذه انت يا حبيبتى .. كدت ان اجن شوقا الى رؤيتك .. تعالى بين ذراعى ..

مجـــد : هذا ما حفظته فى طريقك الى ..

جيـــد : اقول هذا من كل قلبى .. صدقينى (يغير لهجته) اوه ! انك فاتنــة ..

((ينبح الكلب ...))

مجـــد : (تدهش حين ترى الكلب ، فتعترض طريق جيد) لا ادعك تدخل بكلبك هذا ..

جيـــد : يا ملاكى ! هذا كلب زوجتى .. هو الذى انقذنى ..

مجـــد : وماذا يهمنى انا ؟ (فجاة) اسمع ، انى تعبة .. فلا تزعجنى .. تخلص منه حالا ..

جيـــد : لا استطيع ..

مجـــد : (بسخرية) ولم ياغال لا تستطيع ؟

جيـــد : لانى وعدت زوجتى .. يعنى انى بعد وفاتها اخذت عهـــدا على نفسى بأن اعتنى بكلبها .. انى مدين لها بهذا .. كمـــا لو انها قامت بخدمة فى صالحنا .. اترين معى ؟

مجـــد : اى شىء تراه انت ؟ انك تهذى .. وتحلم ..

جيـــد : حاولى ان تفهمينى .. لقد تخلصنا من قيد كان يضيـــق الخناق علينا .. تحقق حلمنا اخيرا .. لا شىء يمنعنـــا الان لان نكون لبعضنا .. نحن الاثنان ...

مجـــد : (مقاطعة) نحن الثلاثة : انت وانا والكلب..

جيـــد : لكننا حققنا حلمنا .. ايبدو لك تحقيق الاحلام امرا سهلا .. يا ملاكى ! انك تتعامين عن الشىء الحسن .. ان نظرتك الى الامور لا تكون الا من زاوية واحدة تؤكد وجهة نظرك .. اوه يا ملاكى .. لا تكونى عنيدة ..

مجـــد : لست عنيدة

جيــد : اذن دعيني ادخل ..

« تتردد لحظة ثم تدير اليه ظهرها فى خيلاء وتفتح له الطريق .. »

مجــد : (فى دلال) لم امنعك من الدخول ..

« يجلس على اريكة فى تراخ .. ويضع الكب على ركبتيه ... »

مجــد : أخذت وقتك قبل أن تاتى لترانى ..

جيــد : يا ملاكى ! انى فى حداد .. ينبغى ان اكون حذرا .. ان اعين البشر لئيمة .. فلنتق شرها ..

مجــد : انما لم يكن من اللازم ان يطول بك هذا الى شهر كامل .. شهر كامل قضيته وحيدة .. آه ما اقسى ان يظل المــــرء وحيدا مدة طويلة ..

جيــد : لم افعل الا ما حتمته على ظروفى .. ان شخص عاش مثل ظروفى يتصرف كما تصرفته .. انى ترملــــت ... فجعت فى زوجتى .. لو تفهمين يا ملاكى ..

مجــد : ماذا افهــم ؟

جيــد : انى كنت ممزقا بين الحذر وبين عاطفتى نحوك ..

مجــد : وانتصر الحذر ..

جيــد : ربما ، انما الان ، كل شيء اختلف .. كل الحواجز التى كانت تباعد بيننا حطمناها .. ازلنا كل ما كان يعكر صفــو غرامنا .. ينبغى ان نسعد بانتصارنا .. تعالى يا ملاكى .. اجلسى الى جوارى .. لدى اشياء كثيرة اريد ان اقولها لــك ..

مجــد : لست لعبة بيديك .. ولست تاسمح لاحد ان يعاملنى كلعبه .. لا انت ولا غيرك ..

جيـد : اننا بهذه الطريقة لا يمكن ان نتفاهم ابدا .. انصتى الى جيدا .. ذهبت فى سبيلك بعيدا جدا ..

مجـد : من سمعك تقول فى سبيلك بطريقتك لظن انك وهبتـى الدنيا باسرها ..

جيـد : لم اهبك ذرة .. لم احقق لك امرا .. الا تسامحينـى ؟ هذا ما يهمنى .. الا يمكنك ان تسامحينى لانى كنت حذرا !!

مجـد : سو فتدرك انه لا يتلاعب بعواطفى .. شهر كامل تقضيه بعيدا عنى .. تتركنى فيه فريسة للفراغ والانتظار والملل ثم تعود وتكسر دماغى باعذارك ونصائحك الجافة ..

جيـد : انا اعترف بغلطتى . وارجوك ان تسامحينى . ساحاول ان افهمك وسافعل كل ما تريدين ..

مجـد : انك لا تستطيع ان تفهمنى ..

((فترة صمت .. فجاة يضاء جانب الغرفة الايمن بنور دائرى وهاج فتبدو ((فدا)) واقفة على درج صغير فى نفس ثوبها الابيض الفاتن ... تنزل الدرج فى هدوء ....))

فـدا : (بعذوبة) هذه هى المراة التى قتلتنى من اجلها ؟

جيـد : (صائحا فى ذهول) فدا !..

مجـد : (دهشة) ما دخل فدا فى كلامنا ؟.. انها انتهـت فدعنا منـهـا ..

فـدا : عزيزى جيد ! انها لا ترانى .. نسيت ان اخبـرك بان المقتول لا يبدو الا لقاتله .. انها لا ترانى .. ولا تسمعنى .. فلا تجعلها تفكر فى انك فقدت صوابك وانت تكلمنى .. لا تهتم بـى.. واستمر كما لو لم اكن هنا ..

مجـــد : فيم تحدق ؟

جيـــد : (منتبها) اوه فى لا شىء .. انى افكر فقط فيما قلت لى ..

فـــدا : صديقتك جميلة جدا .. اين انا من جمالها .. انها اكثر انوثة .. ورقة .. وعذوبة ..

جيـــد : لا .. هذا غير صحيح ..

مجـــد : ماذا تقول ؟

جيـــد : (مرتبكا) غير صحيح .. قل بانني لا استطيع ان افهمها .. فى الحقيقة انت التى لا تستطيعين ان تفهميني .. ان كنت انت قد قضيت شهرا كاملا فى الوحدة والانتظار ، فلقد قضيته انا فى الجحيم .. كل دقيقة منه كانت تلسعنى وتلهب فى داخلى الاحساس بالذنب الفظيع .. لو حاولت ان تدركى فى اية حالة نفسية جهنمية عشت لغفرت لتصرفى كيفما كان .

مجـــد : انا لا ادرى شيئا فى هذه التعابير الروائية .. اجلس ..

فـــدا : اجلس .. لتذكرانى بالاوقات الممتعة التى كنتما تقضيانهـــا معا ..

جيـــد : لا . . ليس هذه المرة .. انى تعب .. يجب ان اعود الى المنزل حالا ..

مجـــد : اتدرى ماذا تقول ؟ تتركنى ؟ اى شيطان اسود ضربك .. كنت على وشك ان اغفر لك ..

فـــدا : انها تتحمس كثيرا لتجعلك تمكث الى جوارها .. اظن ان هذا يصير المراة محبوبة اكثر .. لو كنت عرفت فقط ..

جيـــد : سوف امر لاراك غدا ..

مجـــد : جيد ، اما ان تمكث او كل شىء انتهى بيننا ..

جيــد : لكنك غاضبة على .. ولم تدعينى ادخل الا بمشقة ..
مجــد : وساظل غاضبة عليك حتى تقدم الى اسفك ..
جيــد : انى متاسف .. لكنى لا استطيع ان امكث معك اليوم ..
مجــد : اذهب ان كان تنتظرك اخرى ..
جيــد : انك تسيئين فهم كل شىء .. انك شكوكة الــى درجة لا تتصور .. انصتى الى .. لناخذ الامور مــن بدايتها .. اجتزت مرحلة عسيرة .. تعرفين ماذا فعلت ..؟
مجــد : لا اعرف شيئا .. لا تحاول ان تشركنى معك فى فعلتك .
فــدا : بــدايــة حسنة ..
جيــد : لسـ تـادرى لماذا تنكرين .. لم يحدث شىء يهددنا ..
مجــد : وماذا يهــمنــى انا ان حدث شىء او لم يحدث .. انت صاحب الفكرة وانت الذى نفذتها .. ماذا تريد دمنى ؟
فــدا : هل استحق ان اقتل من اجل امراة كهذه ؟
جيــد : نعم انا صاحب الفكرة .. وانا الذى نفذتها .. لكنــك كنت متفقة معى .. كنت تردين ذلك على الاقل ..
مجــد : الهذا اتيت بعد غياب شهر كامل ؟ لتخبرنى بأنى شريكتك فى جريمتك ؟ انك لعين ... اغرب عنى ..

.. ((لا يتحرك .. تجرى مجد الى غرفة النوم وهى تنتحب .. يمكث جيد مشدوها وسط الغرفة ....))

فــدا : المسكينة ! انها تشعر باحساس بالجرم .. لعل هذا هــو ما يربكها .. انها ليست طبيعية ..
جيــد : مع الاسف ! انها شكوكة .. مزعجــة .. تخلق مشاكل كبرى من لا شىء .. وأنانية الى درجة لا تتصور ..

فـــدا : (دهشة) لكن هذا ما كنت تشكوه منى .. لم تركتنى اذن من اجل امراة فى مثل طبعى ؟

جيـــد : لست ادرى .. لم اعد ادرى شيئا ..

فـــدا : اريد ان اساعدك .. لو فقط استطيع ان اكلــم مجد .. افيدها بتجربتى واصيرها ملاكا لاجلك ..

جيـــد : انت حبيبتى .. لتذهب هى الى الجحيم ..

فـــدا : اعرف انها فى الواقع طيبة .. اتدرى لماذا ؟

جيـــد : لماذا ؟

فـــدا : لانك فضلتها على وقتلتنى ..

جيـــد : هذا غير صحيح ..

فـــدا : قل لى .. متى ستتزوجها ؟

جيـــد : اتــزوجهـــا ؟

فـــدا : الا تفكر فى الزواج منها ؟

جيـــد : الحت على مرا تعديدة ، لكن ..

فـــدا : ماذا تنتظر ؟

جيـــد : اتريدين ان تعرفى حقا لماذا لم افعل ؟ ولماذا لن افعـل ؟ لماذا غبت عنها شهرا كاملا ؟ لماذا افر منها ؟ لانى لم اعد اطيقها .. منذ رايتك فى ثوبك الابيض هذا .. منذ كلمتنى فى وداعة .. ولطافة .. وظرافة ..

فـــدا : جيد .. لا تعلق املا على .. انى انتهيت .. لا اسـتطيع ان اعود اليك حقيقة .. (يبكى) ومع ذلك فان ما يجمعنـا الان لا يمكن ان يكون الا الحب الحقيقى .. الحب الخالد ..

جيـــد : (يبكى) انى اعبدك يا فــدا ..

فــــدا : لكن ..

جيــد : لكن ماذا ؟

فــــدا : مجد .. انها لا تفهمك .. ولا تستحقــك .. يجــب ان تقتلها هى الاخرى كى تتعلم ما تعلمته انا .. لكن هذا لــن يؤدى الى نتيجة .. لا يمكن للاحياء والاموات ان يعيشوا جنبا الى جنب ..

جيــد : ارجوك .. دعينا منها .. انى لم اعد اطيقها .. انت هى حبيبتى .. انى اجد نفسى فيك حين تتكلمين .. وتبتسمين .

فــــدا : كم اود ان توجد وسيلة لجمعنا يا جيد .. طلبت جسمــا آخر اعود به الى الحياة لاجلـ ك.. لكنهم قالوا لى ان ذلك مستحيل .. فبكيـ تكثيرا ..

جيــد : انا ايضا اريد ان توجد وسيلة لجمعنا .. (برهة صمت) فدا .. اتتنى فكرة ..

فــــدا : ما هى يا عزيزى ؟

جيــد : لماذا لا الحق بك انا ؟

فــــدا : آه يا جيد ..

جيــد : الوسيلة المثلى للقاء الابدى ..

فــــدا : ومجد ؟

جيــد : سوف تنسانى بعد يومين ..

فــــدا : جيد ! لا زلت شابا .. الحياة امامك جميلة ..

جيــد : فقدت معنى الحياة يوم فقدتك ..

فــــدا : جيد ! لو استطيع ان اقبلك

جيــد : الا تستطيعين ؟

فـــدا : بينى وبينك حاجز لا استطيع تخطيه ..

جيـــد : ساتخطاه انـــا ..

فـــدا : لكن كيف سمة ... (تبكى) لا اقوى على نكر هذه الكلمة .. لا احب ان تتالم حين تقرر اللحاق بى ..

جيـــد : قررت الان ..

فـــدا : لا تبك .. لا اريد ان تتالم ..

جيـــد : اطمئنى .. حبا متصغيرة من الصيدلية تقوم بالغرض .

فـــدا : حبيبى جيد !..

جيـــد : حبيبتى فـــدا !..

فـــدا : لا تنس روكى .. خذه معك الينا ..

جيـــد : بالطبع يا حبيبتى .. لم اعد اقوى على فراقه هو الاخر.

فـــدا : انى انتظركما ..

ستـــار

القنيطـــرة : سعيد سوسان

محمـــد الشوفانـــى

أغنيـة من القـافلـة

(الى الصديق محمد برادة)

اعزانى ، ايلحق بى فى آفاق الدنا ،
ــ وكل الرياح زوارقى ، ولا منى ــ
غيــركــم ،
يدخـــر اللثمات لهنـــا وهنــــا ؟ !
فى صمتـــه ،
لفؤاد اضنـــــاه الونـــى
وهم الفراق القريـــب الجنـــى .
لن يلحـــق بـــى غيركم ،
مـــا دنـــى ...
مـــن جسمـــى الهـــرم ،
قلبـــى الموهنـــا .

اعزائـــــى
انتم فى خاطرى محض سنـــى ،
يشــم ،
... حلم عريــض بديــع ،
انثنى ، عنــى فى صحوتــى ،
وخلى الجراب علــى كاهلى ،
يطاردنـــى ،
وجحفــل الامنيــات ،
يصفـــع اثرى كوعـــل فى الفلات ،
ابحــــــر فى كل الرياح الغاديات ،
الــى قدر ...
شراعـــــى خفــــوت قاهـــــر ،
فى ليالـــى الصلــوات .
....
اكلمـــا زدت فى الدرب خطوة ؟
لاح بارق ، انهل قســـوة ،
على ، انا حطــاب الالــم .
اعدو خلف فقاعـــة لا امــل .
....
حط الرحال يا حطب الشقاء ،
وساقينا من عطائك ،
ثاثـــر النبرة ما يقلقه صفـــاء .
كان غدك بنفسجـــى النداء ،

فضاؤه ، مـــن نـــور ولهـــب
وكان لـــون عينيك عنـــاد الشهـــب
حط الجراب ،
وهاتينا من مزاميـــر الهزيمـــة .

• • • •

هذا قصر من احضان تربتنا
على الربـــوة الشاردة
قصر هنـــا .
رقص ربوعه بالطبـــل والمزمـــار
والترنيمـــة السكـــرى
تلـــك التـــى اختنقت بصدرك ليال طويلة
رقص ـــ يا مـــن زاده أمحنه ـــ
ربـــوعه ،
فمـــن تربتنا فيه سوسنة .

محمد الشوفانى

« معلقــة » توفيق صايغ

مجموعة شعرية نشرتها المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر — بيروت

عرض وتحليل ياسين رفاعيــة

يقف الشاعر توفيق صايغ فى « معلقته » الاخيرة على الحــد الفاصل بين العالم الذى اهترأ والعالم الجديد الذى يحلم ببنائه . فيمنحنا طاقة جديدة من المشاعر الخلابة فى اطار لا يمكن لفنان آخـــر ان يتكوكــب فيـــه .

الكلمة لديه ، بكر ، ما فجرت بعد ، اقتطفها من النجوم كمشـــة خيوط من النور ليصيغها ذكية على الاسماع . يســتعــذب القارىء جدتهـــا وغرابتها . .

وتوفيق صايغ . كواحد من ابرز الشعراء المحدثين يصبو الى الخلق الجديد دائما ، ويهدف الى هدم القديم الذى اخذ يشذ التسكع امام القيم الجديدة التى تبعث فى هذا العالم الغريب الذى يحاول جاهدا ان يخطف من الانسان براءته ليجرفه فى تيار الالة البغيض .

قد لا نفهم قصائد توفيق للوهلة الاولى . وقد يتعبك كى تستسيغ كلماته . لكنه ككل جديد لابد ان تالفه قبل كل شىء ، ثم تتذوقه . ثـم تحبه .. اخيرا تجده منك نتهواه .

واذا كانت ميزة الشعراء الحديثين التعبير الوجودى الصـادق من ماساة انسان هذا العصر ، فان توفيق صايغ لا يقف من هـذا الشعور موقفا سلبيا ، لا ينهزم مع المهزومين . ولا ينكسر مع المنكسرين توفيق يناضل ، من اجل عودة صفاء الانسان ، يكافح من اجل مسـح الغبار الكثيف عن دنيا الانسانية ، انه مسيحى النظرة الى الكـون والحضارة . طيب ، متفائل بان لابد ان تعود الشمس لتشرق علـى عالم جميل لا تحاول هدمه معاول الالة الرهيبة .

فى قصائده توق صادق الى الخلود . والى الحب والخير ، ان الانسان هو اخو الانسان . لماذا النزاع .. لماذا الاقتتال .. تعالوا نحب بعضنا بعضا .. يريد الشاعر ان يكون نوحا جديدا . لقـد غرق العالم وها هو يريد ان يبنى له رغبة عجيبة فى البناء .

وعندما ينزح الشاعر الى بناء الحلم ، يسور اعماقه الصفـاء النقـى :

هربا مـن النار المتنسـة
جئنـا المياه المقدسـة
تضرب حيطان بيتنـا
نشربها بلا تصفيـة
يسوع الشيـخ
عاد فتيا يلاعبنـى

اله الصلوات الطوال البعيـد
انتشلنى لدياره
جعلها ديـــارى
الصيادون حولى
ضحكوا منـــى
اسميتهم اسماء غريبة
البدوية الكحيلة العين التى
كانت تحمل لنا اللبن
من المجدل المجاورة
كانت تحمل لى اكثر من اللبن
كانت توقظنى كل عشية
البحر الصغير ، والبيوتات
والتل وازهار الفلا
كانت ملكى وحدى

وهكذا يمضى الشـاعر يرسم الصور الزاهية لعالمه الجديد ، انه يؤمن بقدرة الانسان على الخلق البديع والتلوين الاصيل ، فهو يريد منه ان يحاول ، ان يحاول تكرارا دون هزيمة ، ويجب ان يريد لنفســـه الحياة لا الموت ، يجب ان ينفذ من خلال ماساة وجوده الى ايجاد حل لهذه الماساة لا القبول بها والرضوخ لها . .

توفيق صايغ هنا ، يبشر برسالة ، يضع لها امانيها العديدة يؤثر على ساعة الوجود من اين يجب ان يبدا الانسان . . عالمنا القديم مات ، بل يجب هدمه ، لتكون لنا القدرة على ان نرسم نهجا جديدا

بقيم جديدة لعالمنا الذى لم يولد بعد .. ان نمىء لولادة هذا العالم الاستقبال الذى يليق بحياة سعيدة تنشدها مخلوقات الارض باختلافها.

ولكن الشاعر هل يقف من العالم الآنى ، الحالى ، المهترىء . موقف اللامبالاة ، ابدا ، انه يتحداه . يقول له رايه فيه بكل وضـــوح انه عالم مرعب وقاس له القدرة المفجعة على سحق الانســـان وجرحه.

من ينجينـــى
من طاغوت احلامـــى
اتمتم ، وعيناى لما
تتفتحا ، فتدركـــا
ان ليلى يداعبنى ، بكرباجه
يسلمـــه لنهارى
يغذيانـــه بالمسامـــير
يغذيانها بدمائـــى

انه يعبر فى كثير من قصائد « المعلقة » عن فجيعة الانسان بكل الظروف التى تواجهه فى الحياة ، لم يعد هناك عاطفة صافية ، ايـــة فتاة تشرى باكوام النضار ، لا يهمها ان يحبها الشاعر هذا الحـــب الاسطورى الكبير ، لقد تفسخت القيم وضاعت المبادىء . ان الحضارة قد انهارت فعلا . واصبح انسان هذا العصر مرتبطا ارتباطا جذريا فى ذيول الآلة المرعبة التى تدمغ جبين هذا القرن بالعار والظلم والغدر ..

« وصولون » يؤاخى الشاعر « ولماذا تبكـــى الفقيد .. والبكاء لا يفيد ـــ انما ابكى لهذا ، لان البكاء لا يفيد »

وينحدر الشاعر الى الهوة التى حاول جاهدا ان لا يسقط فيها :

« امى خسرتها للموت
خسرتهـا للحياة
عـدوى الموت
عدوتـى الحياة »

هنا احس الشاعر بالنجيمة الممسكة برقبته ، ما معنـى الحياة اذن اذا كان ثمة موت ينتظر فى نهاية الزقاق المظلم .. ؟

لماذا لا تتعب سيوف النار ؟ توفيق صائغ على الرغم من توقه الشديد الى شمس مشرقة وبحر لا تثيره العواصف وربيع دائم يؤطر العالم .. يترنح ويهوى :

ادور من مدخل المدخل
متعكزا شاحطا جثتى
واصد عن مكان فمكان
والتفت للملاء
ارفـع يدى
اتمتم صلوات نسيت نهاياتها
فاجد السقف اوطا مما
كان يخيل لى
قائما مشققا
وارفع يدى
وقلبى وفمى
« اعنى .. اعنى »

وهكذا ، يقف توفيق صايغ ، لا يعرف اين .. ؟ لقد حاول الانفلات من قبضة القدر . حاول بكل ما اوتي من قوة .. ان يقف ويصرخ بكل ما في حنجرته من اسى :

« انا انسان ، اريد الحياة ، اريد ان اكون فوق الآلة ، فوق شريعة الغاب .. لكن القدر يؤكد في النهاية انه الاقوى وانه الوحيد الجدير بالتحكم في مصير الانسان . »

وسيفسا النار لا يتعبان .

واصاب الاعياء والتعب هذه المرة توفيق صايغ .

المزدالــى ابراهيــم

الفجر المزيف

(قـصـة)

انسابت دمعتان فى هدوء واباء من مقلتيه فى طريق لم تفكر الرجولة الملتهبة فى عروقه ان تعبد لهما هذا الطريق فى يوم من الايام .. وما اقوى هذا التاثير الذى ينصب فى دمه ليخرق ثباته ويطعنـه بالخذلان يترقرق دموعا .. فلالة الدموع تحجب عنه ذراعى الشاطىء وقد احتضنا منذ حين السفينة التى تهرب به من ذكرياته .. الاطياف الاربعة لا تزال حية امام ناظريه ، والايدى الصغيرة تشير من حين لاخر اشارات ساذجة بلهاء ، اما يده فلم تتعب من التلويح لتلـك الاشباح الموشكة على الاندثار والتبخر فى الفضاء الواسع .

هذه الخطوط التى ترسمها يده على لوحة الهواء هى آخـر ما سيتبقى فى اعينهم الصغيرة .

ــ احقا هى ما سيتبقى فى اعينكم ؟!

ولكن هذه الذكرى من الاطياف المهتزة ليست دائمة الاخيلة الراكدة ستنمحى .. سيخرس النور فى عيونها جسدى وهو يطـل

عليكم معلنا حقيقة المودة ... ان هذا سيقع .. لا تشكوا فسيه . ساعود بعينى اللتين صببت لون عسلهما فى عيونسكم الجـميلة . فانتظرونى ... انتظاركم لن يطول واذا امتد اختفائى سنوات فلاوفر لكم العيش الرغيد بين اقوامكم من نكرونى ولم يخجلوا امام براءتكم نكروكم لانكم فلذات وقطع من قلبى تستقر بجانبى على ارض يملكها الله ويتصارع الاقوام الاقزام من اجل ملكية ما ليس لهم . سأخنـق ذلك النكران فى عيونهم ، نظراتهم المشمئزة ستعود اليهم ، آهاتهم المسربلة بالنفاق ستموت فى حناجرهم ، لن تسمعوها ، ولن اسمعها معكم . لقد عرفت ما وراء تلك الكلمات المغرية ، انتظرت فى كل مرة ان تتعدى وتخترق حدود الوعود ولكننى مللت الانتظار وملنى وهـى مستكينة دون قلق وقد عاشت وعودا وماتت كذلك .

ستختفى مرارة بذورها فى عروقى وطلت نباتات بذرهـا القذرة اشواكا فى عيونى توجه نظراتى وتسرحها على اليأس فلم امد يوما يدى شحاذا انتظر عطاياهم .. ابت عزة أحسها تتشبث بدمـى تركى استغيث فالتقى نجدتهم لقد كاد الصمود ان يخوننى ويتخلـى من نفس صادقها طويلا ، كنت اشعر بفراغه يقترب ليمسخ الرجولة فىعروقى ولكننى ضممته بين ضلوعى بقوة ولو ان الضياع يلفنـى هكذا سارت حياتى فىموكبها البطىء الزاحف على وراس احملهـا وحيدا واصارع لهيبها محترقا دون ان ادع الامل يحترق معى . ولكن فاطمة ــ سامحها الله ــ دفعت بى فى درب اليأس اقطع فيه خطوات عريضة فلم تكن نظرات هذا الدرب بظلمته المقيتة لتراني لو بقيت فى صراعى وحيدا ولم اربط مصير فاطمة بحظى . لا تلق براسك علـى صدرك فانا لا اعاتبك فلست اهلا لعتاب تيقنى من هذا لقد قلته بقلبـى بحبى وعقلى مرارا .

اتذكرين ؟ عندما كنت اعود خالى اليدين مملوء النفس بمشاعر لونها مجتمعى بقيئهم الاسود .. كانت بسمتك بصفائها تزيل كل كدر ، كنت ترضين بالواقع كما هو لم تجبرينى يوما على تخطيه لالقى تفكيرى يبحث وراءه .. لم تستطع الظلمة المحيطة ان تستقر فى اعماق تلك البسمة السائلة دوما على شفتيك فظلت ساطعة ومن ورائها حبك وقد اغرق قلبك الكبير حتى بعد ان يدخل بيتنا ثلاثة ضيوف جدد .. ثلاثة زهور تنبت فى صفوة الحياة وتنغمس سيقانها الفضة فى الوحل الخشن ولكن اشراقة اكمامها الزاهية البياض انارت من عتمة وجودنا .

ونحيا جميعا حياة لم افكر فيها يوم كنت اشد على يدك المرتعشة وقلبك تهتز جذوره خوفا من خرجاتى الليلية المريعة : «الليل لن يطول ، والفجر لنا يا فاطمة» . اقولها واتسلل تحت رداء من الليل ساتر ، كانت هى كلمات الوداع التى تسمعينها كلما اقتضى واجب تحقيق الوجود خروجى ، هذا الخروج لاحياء المصير وبعثه يرجفنى واعماقك ترتعش وراء ضمتك الحنون ، تلك هى جملتى الاخيرة فقد كنت اتوقع دائما الا اعود . ووجود جماعتنا المنتظرة كل يوم الا تعود معناه ان الصباح المقيت سيعود ويشرق اخيرا نور الصباح على جبين الاله لينسكب املا عزيا زاهيا على ربوات بلادى ونرقص ملء قوتنا ونحن فى سكر من نخب ذاتنا المحققة ، فلم اعد اخرج وحدى لاسهر فى جفن الليل وازعجه فى سكونه فالسهر اصبح من حق الكل دون رعب او خوف ونسيم الفجر الندى غدا للجميع ...

وسكت كان قبضة خنقت كلماته وترتمى نظراته لتملق مرة اخرى بالاطياف الاربعة على الرصيف البعيد وتنزلق آهة من حنجرته :

آه من ذلك الصباح ... لقد تمنيته ان يرنو الى بلادى ليبدد كلوح ليلها ولكن نوره ظهر ولم يصل الى قلوبنا فينيرها .. ظلت مع شمعاعه سوداء ... لم يعصر من جناحه قطرات يانعة بلورية تستقر على اوراقكم يا ازهارى ظل العطش فى صدوركم وبقيتم مع الفجر بلا ندى . انا السبب فى كل هذا .. الوم نفسى القاسية لانها لم تستجب للطلبات الرخيصة لتعيشوا فى السنى المنير وترتموا على ضوئه فى حياة ترقص انوارها فى عيونكم ! لقد حرمتكم من العيش فى هناء اتعرفون لماذا ؟! انكم صغار لا تدرون معنى كلماتى ولكننى ساقول لكم ولامكم علها تستطيع ابلاغكم ما اريد . افهميهم يا فاطمة ماذا يقصد ابوهم فالسفينة تفر وليس لى وقت لاوضح لعقول تزحف نحو النضج ... ان النور يلفكم ولكنه مزيف فى افواره .ليس هذا هو الفجر الذى نشدناه يوم كنا نسبح فى هواء اسود واسهرنا النوم فى العيون ليعود نسيم سهولنا الى سنائه ، هذا نور كاذب انه يعمى الابصار ولا يدعها ترى ما وراء البريق الخادع . كنا نريد تقبيل الفجر الذى احببناه وءامنا به الفجر الذى يهدى ولا يصحى يمضى فى خطوات وليدة ولكنها ثابتة وصريحة وواضحة . وتتعلق نظراته باللمسات الاخيرة المتبقية فى انتصاب من لوحة الشاطىء البعيد وقد ترك عليه قلبه يضم اغنى ذكرياته :

الان صغارى اشير لكم بالوداع الاخير واخفى وراءه دموعى الجريحة لالتفت الى دنيا جديدة ابحث واعمل علنى اعود بقبس من فجر ضاع ،فقد فى ارضى وحرمت من توسد شمعاعه تربتى .

سامضى لاعمل ، ساحرق هذه السنين متواريا فيها عليكم مختفيا عمن نبذونى لانى كرهت الخداع وهو يلوث القيم فى الطين

المدنس ، سأتدارى لالهب الكرامة النائمة فى عروقكم وانير جدوتهـا الحية العميقة من سناء ينفثه فجر جديد حقيقى وينكره الضوء الخائر المنبعث كالنزيف من العيون الميتة .. عيون الفجر المزيف .

المزدالى ابراهيـم

الاسطورة والشعائر فى مسرحية اوديب

ترجمة وتلخيص : محيى الدين صبحـــى

حين عزم سوفوكليس على كتابة مسرحيته ، كانت لديه اسطورة ليبدأ بها : فقد اخبرت النبوءة لايوس وجوكاستا ، الملك والملكة فى طيبة ان ابنهما البكرسوف يكبر ويقتل اباه ويتزوج امه . فثقبت رجل الطفل وترك على جبل قيصرون ليموت . غير ان راعيا وجده فتعهده بالعناية ثم سلمه الى راع آخر اخذه الى مملكة كورنث وهناك تبناه الملك والملكةوربياه واسمياه ((أوديب)) اى ((ذو القدم المشوهة)) . حين شب أوديب علم بالنبوءة التى تقضى عليه بان يقتل اباه ويتزوج امه ، فترك كورنث فرارا من هذا القدر ولم يعد اليها ابدا . وبينما كان فى الطريق قابـــل عجوزا معه خدم ، فتشاجر معه اوديب وقتله وقتل الخدم . وحيـــن وصل الى طيبة كان ابو الهول يهدد المدينة ، فحل أوديب الاحجيـــة التى طرحها عليه الوحش الخرافى وانقذ المدينة ، فاجتمع مواطنو طيبة ونصبوه ملكا عليهم ، واتخذته جوكاستا ، الملكة الارمل ، زوجا لها ، وانجبت منه ابناء عدة . حكم أوديب المدينة حكما صالحا الى ان اجتاح

المدينة وباء غامض اضطر العراف ، الى القول بان الالهة غاضبون لان قاتل لايوس لم يعاقب ، فاعلن اوديب ــ بوصفه ملكا ــ عن عزمه على ايجاد القاتل . غير ان نتيجة البحث تظهر ان اوديب نفسه هو المجرم المطلوب ، وان جوكاستا هى امه وزوجه في آن واحد . فيسمل أوديب عينيه ويذهب الى المنفى . لكنه منذ ان حل به العقاب اصبح مقدسا يجلب السعد على المكان الذى يدفن فيه . ولا يلبث أن يموت فى اثينا .

يتضح من هذا المخطط البسيط ان للاسطورة التى تمتد الى سلالات متعددة ، مادة قصصية غنية ، لا بد وان لها روايات متعددة. ونحن لا نعلم اية رواية لهذه القصة استخدم سوفوكليس ، اذ ان هذه الروايات جميعها موحية جداً وغامضة جدا ، حتى ان العقل لا يقتنع باى منها الا اذا أضاف اليها وفسرها او بسطها بشكل يقبله العقل . ويبدو أن سوفوكليس قد نجح فى مسرحيته بالاحتفاظ بالسر الموحى لاسطورة اوديب ، وقدمها فى شكل مسرحى موحد ، يضم كل الابعاد التى قصدت الاسطورة الى اكتشافها .

حين عالج سوفوكليس هذه الاسطورة وقلبها الى مسرحية ، بدا من نهاية القصة تقريبا ، اى حينما يجتاح الوباء مدينة طيبة التى كانت تحت حكم اوديب وجوكاستا لسنوات عديدة مزدهرة . تستغرق حوادث المسرحية اقل من يوم ، وتتالف من بحث اوديب عن قاتل لايوس، واستشارته لكاهن ابولو ، وتفحصه للكاهن تريسياس ، واجتماعه بسلسلة من الشهود تنتهى بالراعى العجوز الذى التقطه وهو طفل واعطاه لملك وملكة كورنث . وتنتهى المسرحية حين يتاكد اوديب انه هو المجرم المطلوب .

تبدو المسرحية على هذا المستوى الادبى جريمة غامضة يـــاخذ فيها اوديب دور المدعى العام . وعندما يدين اوديب نفسه تحدث لفتة لا مثيل لها فى تاريخ المسرح .. مع ذلك ما من احد قرأ المسرحيـــة او شاهدها وقنع بهذا التفسير الادبى . فسرعان ما تثار الاسئلـــة بالنسبة لمعانيها : هل اوديب مذنب حقا أم انه ضحية الالهة ، ضحية عقدته ، ضحية قدره ، ضحية الخطيئة الاولى ؟

ان اول واعمق جهد غريزى يبذله العقل ، حين يواجه هـــذه المسرحية ، هو سعيه لان يرد معانيها الى بعض المقولات المنطقية .

لقد حاول نقاد « عصر العقل » ان يفهموها كاسطورة تشير الـــى الارادة الاخلاقية ، حسب فلسفة ذلك العصر . والمسرحية التـــى كتبها فولتير وتعليقاته عليها ، نموذج لهذا الاتجاه . فهو يرى فى جوهر المسرحية صراعا بين اوديب القوى الخلوق ، وبين الالهة الدنيئـــة ذات الطبيعة الانسانية ، بعد ان حرضها واعانها على ذلك القـــس الفاسد تريسياس . فهو يجعل منها اثرا غير دينى ، مرفقا باخلاقية لا تخطئها العين ، ليرضى حاجات الجدل العقلى . ثم بذلت محاولات اخرى اكثر مهارة من محاولة فولتير ، بغية اخضاع المسرحية لاحكـــام العقل ، فتوصلت الى فهم للمسرحية اكثر عمقا . فقد اخضع فرويد المسرحية لمفهوماته فى علم النفس ، وكشف عن جوانب عظيمة منها، ما نزال نستقرؤها على ضوء المنظور الذى قدمه لنا . كما أن باحثين آخرين فسروا المسرحية على ضوء العقائد اليونانية القديمة .

ان التفسيرات جميعها ، من فلسفية ولاهوتية وتاريخية ، مقبولة. وليس اى منها خطأ لكنها جميعها جزئية . وجميعها ترد رائعـــة

سوفوكلبس الى مناهج غريبة عنها . اذ ان اعظم ماثرة فى تمثيل سوفوكليس لهذه الاسطورة ، هي ان مسرحيته تحتفظ بالسر المطلق بفضل تركيزها على ماساة الانسان فى مستوى اقل او ارفـع من اى تفسير عقلي مهما يكن . والعقدة محكمة بحيث نرى الحدث كما هو ، مضاء من جوانب عديدة فى وقت واحد .

ان البدء بالمسرحية من نهاية القصة ، وعرض المرحلة الحاسمة فقط من حياة اوديب ، على المسرح ، والكشف عن ماضى البطـــل وحاضره معا ، وفى نظر كل واحد من المشتركين بالمسرحية ، يجعلنا نشعر فى النهاية ، بهذه الاحداث ككل موحد . ان بحث اوديب عن قاتل لايوس يغدو بحثا عن الحقيقة المستترة فى ماضيه ، وحين يتسلـــط النور بالتدريج على هذه الحقيقة ، يصل بحث اوديب الى نهايته ايضا : فيرى نفسه منقذ المدينة والمجرم فيها وسبب بلائها معا . هذا هـــو تفسير المسرحية بمعنى من المعانى .

ان ما رآه سوفوكليس جوهريا فى طبيعة اوديب ومصيره ، ليس ما رآه سينيكا او درايدن ، ولن ان نفترض انه حتى سوفوكليس نفسه لم يستنفد كل الاحتمالات التى تتضمنها مادة الاسطورة . غير ان نقـــل سوفوكليس للاسطورة لم يرجع بالاسطورة الى اى سبب .

ان مضمون المسرحية الاسطورى الروحى هو الحدث الماساوى الذى يقدمه سوفوكليس مباشرة . وهذا الحدث ، فى جوهره انتصار ودمار ، نور وظلام ، فرح وعويل ، فى اية لحظة من لحظاته. لكـــن لهذا الحدث شكلا ايضا : بداية ومنتصف ونهاية ، عبر الزمان . يبدا الحدث بهدف معقول هو ايجاد قاتل لايوس . لكن هذا الهدف يصطدم

بعقبات خفية ، بدلائل لا تناسبه ، وبالتالى يتخلخل الهدف كما فهم لأول مرة .* وهكذا تعانى الشخصيات من هذا الاحساس الورع المفزع ، بسر الوضع الانسانى ، ويبزغ مفهوم جديد من معاناة هذه الرؤى المتناوبة عن الوضع . وعلى هذا الاساس يماد تعريف هدف الحدث، وتبدا حركة جديدة . هذه الحركة هى ما يسمى بالايقاع الماساوى. وهى التى تؤلف شكل المسرحية ككل، وشكل كل مرحلة على حدة . ان الايقاع المأساوى هو جوهر المسرحية او مضمونها الروحى ، والمفتاح لفهم شكلها الشامل الفريد . ولكى تتضح للقارىء هذه النقاط باوسع تفاصيلها ، نجد من الملائم ان نستعرض مشهد المقابلة بين تريسياس واوديب فى اول المسرحية حين يكون اوديب راجح الكلفة . فهو البطل الملك فى حين ان تريسياس مجرد عراف ضرير . يطلب أوديب من تريسياس أن ينجم له عن قاتل لايوس فيرفض تريسياس . عند ذلك يهاجمه اوديب ويتهمه بانه حرض المجرم على قتل الملك ، وبذلك يتخلى اوديب عن هدفه الاول ــ ايجاد المجرم ــ ويتخذ لنفسه من تريسياس هدفا . لكن تريسياس يبادله الاتهامات ويتحول المشهد الى شجار عنيف ، وبذلك تنحط المعركة من مستوى الحوار الى دون مستوى العقل ، وتتعارض اهداف الخصمين تعارضا تاما . اما المشاهد فانه يرى الخصمين وقد ابتعد احدهما عن الاخر وكأنه يبتعد عن شىء غير طبيعى . وفى نهاية الجولة يكون اوديب هو من تلقى الطعنة الانفذ ، لانه هبط من مكانته الرفيعة الى درك الشك به واتهامه . ينتهى هذا الجزء من الشجار بتدخل الجوقة التى تدعو المتخاصمين الى نبذ الخلاف والاتفاق على الهدف المشترك : اكتشاف الحقيقة وارضاء الالهة .

ان الشجار بين اوديب وتريسياس يظهر هدف الايقاع الماساوى وهو يتحول الى عاطفة . والجوقة تثير هذه العاطفة وتقدم

معها فهما جديدا للموضوع . هذا الفهم الجديد هو احتمال ان يكون اوديب نفسه هو المجرم المطلوب . غير ان هذه الاشارات غامضة ، وربما كانت الرؤيا نفسها وهما .. حلما مزعجا . فالجوقة لم تصل الى نهاية بحثها بعد . وهى لا تبلغ نهايته الا حين يظهر امامها اوديب بنفسه ، على انه المجرم الذى لا شك فى جرمه .

هذا هو الشكل الاول الذى قدم فيه الايقاع الماساوى . غير ان هذا الشكل هو صورة مصغرة للمسرحية ككل ، اما الصورة العابرة الكريهة لاوديب كمجرم فانها تظهر لدى ادراكنا النهائى . وهى النقطة التى تنتهى عندها المسرحية .

اما تاثير الشعائر الدينية فى مسرحية اوديب ، فقد بينت مدرسة كامبردج للدراسات الانسانية الكلاسيكية ان شكل الماساة اليونانية يتبع شكل طقس دينى قديم جدا ، هو ((عبادة الالهة الفصلية)) وقد كان هذا الاكتشاف اكثر الاكتشافات تاثيرا خلال القرون القديمة الماضية ، لانه قدم لنا نظرات جديدة فى مسرحية اوديب ، التى لا اظن انها اكتشفت تماما حتى الان . فنحن نجد مفتاح تحويل سوفوكليس لهذه الاسطورة الى مسرحية ، فى هذه الشعائر القديمة ذات الشكل والمعنى المشابه ــ اى انها هى الاخرى تتحرك ضمن ((ايقاع ماساوى))

ان الحالة التى تكون عليها طيبة فى بداية المسرحية ــ من خطر محدق بها ، بمحاصيلها ، بقطعانها ، بعقم نسائها بامراضها المهلكة ، بغضب آلهتها ــ هذه الحالة شبيهة بالطقس الذى ياتى مع الشتاء ، وما يستدعيه من صراع وقلق وموت ثم بعث من جديد . وهذه النتيجة الماساوية هى جوهر المسرحية . ويكفى ان نعلم ان الاسطورة

والشعائر قريبان من بعضهما وبعض من حيث المنشا : فهما تقليدان مباشران للتجربة الخالدة عن الجنس البشرى . غير ان المرء حين ينظر الى اوديب كشعائر دينية فانه سيفهمها باساليب تختلف عن فهمه لها حين يفكر بها على انها قصة حولت الى مسرحية . فمن وجهة نظر الديانة اليونانية كان مهرجان ديونيس يعتمد كليا على مواكب الربيع السنوية التى كانت تضم احتفالات سرية بالنمو كما كانت فى الوقت ذاته دعاء لمدينة باليمن الذى لا يقتصر على الازدهار المادى ، بل يشمل ايضا النظام الطبيعى للاسرة والاجداد والاحفاد . ولا بد ان جمهور سوفوكليس كان مهيا للتجاوب مع الشعائر الدينية ، كما كان مهيا للايمان بما يوشك ان يراه من ابتهالات الجوقة مع رقصتها وغنائها ، ثم الحوار العقلى والصراع المخيف بين الممثلين ، فالانين او البهجة ، واخيرا التامل الذى تستدعيه الصورة المسرحية النهائية ، او ما نسميه ((ظهور الحقيقة)) .ان هذا الجمهور يؤمن بان ما يراه هو تقليد واظهار لسر الطبيعة البشرية والمصير الانسانى . وهذا السر كان يتعلق فى وقت واحد ، بنمو الفرد وتقدمه ، وبالحياة القلقة للمدينة الانسانية .

ان سوفوكليس قدم حياة اوديب الاسطورى بايقاع ماساوى ، على صورة بحث سرى عن الحياة . فقد اظهر اوديب وهو يبحث عن وجوده الحقيقى ، لكنه كان كذلك يبحث عن يمن المدينة . وحين يتامل المرء فى شكل المسرحية باكملها يقتنع بانها تقدم بشكل ماساوى ، لكنه خالد وطبيعى ، بحث المدينة عن صلاحها .

بهذا التوسع فى الحدث ، يصبح اوديب الممثل الاوحد والبطل الاول . هذا البحث الماساوى ، تجسده جميع الشخصيات باساليبها

المتعددة . ولكن مع تقدم الحدث ككل ، تلعب الجوقة دورا يماثل في اهميته دور اوديب ، او هو صورة عنه في الحقيقة . ان الجوقة تحفظ التوازن بين اوديب وخصومه وتلاحظ تقدم صراعهم وتكرر الفكرة الاساسية ، وما يطرا عليها من تنوعات جديدة بعد كل محاورة او شجار . ان عمل الجوقة غير محدد بالهدف الحاد العقلاني للمتخاصمين وشكل الحدث بالنسبة للجوقة اقل حدة من حيث واقعيته ، وهو قريب الصلة بالمعرفة الشاملة بمشهد الحياة الانسانية ، لان عمل الجوقة ليس عاطفيا بل هو معاناة يدعمها ايمان القبيلة بالنظام الطبيعي للانسان والالهة . ولو ان احدا فكر بحركة المسرحية لوجد ان الايقاع الماساوي يحلل العمل الانساني حالا الى اشكال متوالية مثلما تحلل قطعة البلور حزمة الضوء البيضاء الى اشعة ملونة .

ان مسرحية (اوديب ملكا) صورة متغيرة للحياة الانسانية واحداثها . وهي لا يمكن ان تتخذ شكلها هذا الا على ضوء المسرح الماساوي لمهرجانات ديونسيوس . ان منظورات الاسطورة والشعائر والتقاليد وطريقة حياة المدينة ـــ اي عادات الفكر والشعور التي تؤلف الحكمة التقليدية للعرق ـــ ان هذه الامور كلها كانت ضرورية لاظهار هذه المسرحية الى عالم الوجود .

كما ان في الشعائر صراعا او نزالا مقدسا بين الملك القديم ، والاله او البطل ، وبين الشيء الجديد الذي يحدده الصراع في المسرحيات ، وتحدده ايضا لحظة الهدف في الايقاع الماساوي. ولا بد ان سوفوكليس قد شعر ان الايقاع الماساوي للحدث الذي تبينه في الاسطورة ، والذي شعر به يترقرق خلال الاشكال الشعائرية ، والذي

حققه فى مسرحيته بطرق مختلفة كان اعمق صورة للحياة الانسانيـــة من اى بيان او اى ادراك مفهوم عنها ، سواء اكان هذا الادراك علميا او عقليا او لاهوتيا . ومع ذلك فان هذا الايقاع المأساوى يتضمــن هذه الادراكات كلها بقوة . ان سوفوكليس قد اخذ الاسطورة والشعائر على انها خيال ، وظل مع ذلك يقبل معانيها العميقة على انها حقائق صلبـــة .

ان مسرحية (اوديب ملكا) مثل اعلى للمسرحية ، ان لم تكــن هى المسرحية التى تمثل هذا الفن فى طبيعته الجوهرية وكمالـــه النهائى . وقد تدين فى بعض وضعها هذا الى ان ارسطو قد بنـــى تعريفاته عليها ، كما ان الكثيرين قاموا بمحاكاتها واعادة كتابتها ، مـــنذ زمن ارسطو الى ايامنا هذه . ولم يقتصر امر كتابتها عـــلى المسرحيين فقط ، بل تجاوزهم ايضا الى الاخلاقيين والمؤرخين وعلماء النفس ، والدارسين الاخر للطبيعة البشرية والمصير الانسانى . وبالرغم من ان المسرحية قد تجسدت كنموذج ، فان الاتفاق ضئيـــل حول معناها وشكلها . ويبدو انها فى كل حقبة تولد تفسيرا جديدا وفنا للتأليف المسرحى يختلف عما سبقه . على ان مسرحية اوديب هى ، فى نهاية المطاف ، اسطورة وشعيرة دينية فى وقت واحد . وهى تنتحل هاتين الطريقتين القديمتين لفهم التجربة الانسانية وتمثيلها ، وهمـــا طريقتان سابقتان للفنون والعلوم والفلسفات التى ظهرت فى العصـــر الحديـــث .

محمد برادة

مرة في كل شهر

التجريد في الرسم واللامعقول في المسرح

في الواقع ، كان الشهران الفارطان متميزان بنشاط ثقافي خصب برز – بالخصوص – في مجالي الرسم والمسرح . فبعد ان عقد الفنانون التشكيليون المغاربة مؤتمرهم الاول ، وصادقوا على قرارات هامة ، توالت معارض الرسامين ، فشاهدنا لوحات مولاي احمد الادريسي ، ومحمد بناني ، والفقيه الرجراجي ، والغرباوي ، والحمري . ونظمت عدة ندوات لمناقشة اتجاه الرسم المغربي ومشاكله التعبيرية . والملاحظة البارزة هي ان المد التجريدي يتعاظم بين الرسامين الشباب الذين لم يعودوا قانعين باقتفاء خطى الاتجاه الساذج الذي ارتاده كل من محمد

بن علال واحمد الادريسي . انهم يريدون تجاوز هذه المرحلة «البدائية»، والانفتاح على احدث الطرائق التعبيرية فى تشكيل المادة ، واستغلال الخطوط والالوان .. وتدعم طموحهم هذا ، ثقافة متينة ملمة بتاريخ الفن قديما وحديثا ، واتصال وثيق بما تنتجه المواهب الاوروبية مـــن رسوم واشكال . ومعظم هؤلاء الرسامين الشباب قد درس فى معاهد اوروبا ، وتردد على معارضها ، وهذا العنصر يميزهم كل التميز ، من الجيل السابق من الرسامين الذين يعتمدون فى انتاجاتهم ـــ بالدرجة الاولى ـــ على الطبع والسليقة ، والموهبة التلقائية .

ولاول وهلة ، فان هذا التمايز بين الجيلين (الساذج والتجريدى) يبدو طبيعيا .. الا ان الجدال الذى صحب التظاهرات الفنية ، ابان عن آفاق جديدة لهذه القضية .. وكانت الاسئلة المطروحة تقول :

بماذا يبرر هذا التطور الرسم المغربى ؟ وهل يستجيب لضرورة ملحة ، ام انه استجابة لاهواء الفنانين ، وانقياد للتقليد «والسنوبيزم» ؟ وهل سيستطيع شعبنا ان يفهم لغة الرسم الحديث المغرقة فى التجريد، والفاقدة لجذور تاريخية فى حضارتنا ؟ ..

وقد تصدى الرسامون الشباب (خصوصا محمد بنانى ، ومحمد شبعـــة) للدفاع عن الإتجاه الجديد ، مبينين طبيعية هذا التطـــور وضرورته . وفى رايهما ، ان الفنان فى البلاد النامية لا يستطيـــع ان يبتعد عن الاستفادة من الاشكال الفنية التى تولدت عن تطـــور الحضـارة الانسانية . واذا كانت هذه الاشكال تتسم احيانا بالتعقيد والابتعاد عن المالوف ، فان ذلك قاسم مشترك يشمل الانسان اينمـــا وجد ، ويعكس تطوره الاقتصادى ـــ الاجتماعى .

اننا لا نستطيع ان نعارض هذا التطور ، ولن نستفيد شيئاً اذا ارغمنا رسامينا على اعتناق الاسلوب الساذج او الواقعي ، لان ذلك سيكون بمثابة اجهاض لرؤيات جديدة لا نعرف مدى اصالتها. ولكن الملاحظة التي تكتسي اهمية خاصة — في نظرنا — هي اختلاف السياق المجتمعي والتفاوت الفكري للمتلقين في اوروبا وفي بلادنا . فاذا اضفنا الى ذلك ، ان معظم النقاد الاوروبيين يجمعون على القول بان الاتجاه التجريدي لن يعمر طويلا ، وانه في ازمة خانقة .. فسيكون من حقنا ان نتطلع الى تيار تجديدي في الرسم المغربي يستفيد من تطورات الاتجاهات الاوربية ، ويتجاوزها الى آفاق اصيلة ، لها روابط اوثق باهتمامات مجتمعنا .

وفي ميدان المسرح ، كانت مسرحية « مومو بوخرصة » التي اقتبسها الطيب الصديقي عن « اميدي » ليونيسكو اهم حدث اثار الانتباه بعد ان طالت فترة الركود والضحالة . ومعروف أن « مومو بوخرصة » تنتسب الى اتجاه اللامعقول ، وتعبر عن افكار فلسفية دقيقة متصلة بوجود الانسان في العالم الحديث ، وبالصراع الازلي بين الفكر والواقع ، وبالقيم المتجددة .. فكانت مناسبة لمناقشة كثير من القضايا التي تمس مشاكل المسرح المغربي . وتتلخص هذه القضايا في النقط الاتية :

١) امتداد فترة الاقتباس ، وضرورة الخروج منها.
٢) نوعية المقتبسات : مراعاة تجاوبها مع مشاكل الشعب .
٣) الترجمة الدقيقة افضل من الاقتباس في التعريف بالاتجاهات المسرحية العالمية .

ان المسرح احتفال شعبي ، ومعرض جماعي لتجسيد المعضلات، واحياء الصراع ، وتثقيف العقول وتهذيب النفوس . وخطورة هذه

المهام ، تحتم ادراك الصعوبات التى تكتنف النهضة المسرحية — وهى نهضة لن تضىء تباشيرها الا اذا وعى الفنانون مسؤولياتهم — والا اذا اولت الدولة مساعدتها بدون قيد ولا شرط . وبدون تخطيط ، وبدون ايمان فى حق الشعب لامتلاك وسائل الثقافة ، لن يكون لنا مسرح . . وستستمر الازمة ، وستستمر « الاقتباسات » .

واجـب المثقفيـن

هناك احتمالات قد تجعل من هذه السنة « سنة المثقفين » بالمغرب . ذلك ان الاستجواب الذى ادلى به جان بول سارتر الى صحيفة «ليبيراسيون » حول واجب المثقفين فى الشعوب النامية ، كان منطلقا لكثير من المناقشات على صفحات المجلات والجرائد ، ومحورا للندوات والمناظرات . . وقد افسحت صحيفة « الاهداف » اعمدتها لنخبة من المثقفين الذين ناقشوا آراء سارتر وحددوا الافاق التى يعتقدون ان على المثقف المغربى ان يرتادها ليكون فى مستوى الاحداث. وليس من اليسير ان نلخص كل هذه الاراء ، ولكننا نكتفى بالاشارة الى اهمها (١) :

١) المثقف مدعو لان يشارك فى تنظيم الجماهير وتعبئتها لتحقيق مطامحها.

٢) العمل السياسى ضرورة ملحة ، لا يمكن للمثقف ان يتملص منه ترفعا او هروبا او يأسا،

٣) على المثقف مهمة تحليل التراكيب الاقتصادية والاجتماعية تحليلا علميا ، ليعمق الوعى بالمشاكل الاساسية .

٤) يجب على الاطارات المثقفة ان تقاوم سياسة الاغـــراء ، والترقيات غير المشروعة ، والعمل ضد مصالح الشعب.

٥) المثقفون يتحملون جزءا من مسؤولية تغيير المجتمع الـــى جانب بقية الفئات الاجتماعية الاساسية : الفلاحون والعمال .

٦) الحرية الفردية تفقد قيمتها عندما يتعلق الامر بالدفاع عـــن حرية المجموع المضطهد ، الرازح تحت قيود الاستغلال ولا يمكـــن للمثقفين ان يعتنقوا مفهوم الحرية الليبرالية .

ويتجلى من مجموع الاراء التى استقطبت الجدال حول واجـــب المثقفين ، ان هناك وعيا عاما بين جميع الفئات المتعلمة والمثقفة ، وان خطة « اللا تسييس » التى اريد لها ان تنتشر ، لن تجد سبيلا الـــى التمكن .. وقد تكون هذه المناقشات حول واجب المثقفين بمثابـــة ذوبان لجليد العزلة .. واعلان عن عودة المثقفين المغاربة الـــى حضيرة الكفاح الملتزم .

---

(١) ابرز من شارك فى هذه المناقشات الاساتذة :
محمد عابد الجابرى ، مصطفى القرشاوى ، محمد برادة ، عبد القادر الصحراوى ، محمد الحبيب ، محمد حمايمو ، مصطفى الازمورى عبد العزيز بلال ، عبد الله العياشى ، محمد زنيبر ، محمد الطاهرى.

صبرى احمد

أربع قصائد

١ ــ عطاء

وأنت اذ تحرر الطيور من يديك
واذ يمج افقك ، المنور المشتاق للظلال ،
بموجة الارياش والجوانح الطوال
وانت اذ تحرر الطيور نلتقى معك
فى موعد من الظلال ما لمر نكبة الظلال
فى محجر حدودها سديم
مراه الجدب من يناعة النجوم
من يلتقى بالحب لا يصدق المحال والزوال
ويدفن الحزن القديم
ونلتقى معك
فى وجهك المريض بسمة منشورة القلاع
تحدت الشطئان والتخوم

وانت من عينيك اذ تصرخ النجوم
وتغزو صمتنا وليلنا المتناغ
وترسـل الضياء للجياع
يتشبعون يرتـوون
وما امر نكبـة الجياع فى السواد
يحملقـون
ويعصرون قطـرة السؤال
اواه ما امر نكبة الظلام !
فى محجر نديها حـداد
من يلتقى بالحب لا يصدق المحال والزوال
ولا يحس اى لون للبعاد

٢ ــ الموت فوق القـد

كحبـة السكريـن
كحمـرة الخديـن
كـوردة النسريـن
محبوبتـى ما فى خدها خال
محبوبتـى مـوال
كحبـة السكريـن
خدر الحلاوة فى تعطشى الـديجتين

• • •

من يجنى لى النشـوة ؟
من غابـة الاعراس

فى عينــه ويطرز الانفــاس
من ؟ من ؟ سوى نوارة النسرين
اغنيتــى الحــلوة
تهتــاج فى الخديــن ؟

• • •

محبوبتــى
ان غابــت الايام والاعــوام
علــى شعــاع
لتجوب صلب الارض صلب المنجم
محبوبتى ان غابت الاعوام ترجع فى سلام
اهدابها ارجوجة الانجسم
تلتاع فى نظراتها الاطمــاع

• • •

— فوارة الحلم ارتوت ما قيمة الاطماع ؟
— محبوبــى الاوحــد
الموت فــوق الخــد
الموت بعــد السيــر
وحــرقــة السفــر
« الموت ثمة » قالت الرياح
« دينــــام »
« سيفجر الايام والاعوام »
محبوبــى الاوحــد
ويزيد من ديومــة الخــدر
بعد المسير وحرقة السفر

٣ ـــ انساننا المريض بالعمـــى

اردت ان اسقى احرث الاشعـــار
واجنـــى الثمـــار
وانزع النهـــار
من ظلمة تستنزف الاعمـــار
تستنزف الحياة من خصوبة التراب والاحجار

. . .

ما لذلك الانســـان
معفـــر الجبين بالظلام
والسقـــــام
اطباق من ثمار او اشعاع من نهار
انساننا الذى يمارس الممات والحياة
ـــ كأنه بلا حياة او ممات ـــ
محبة فى الله فى الظلام
لانه معفر الجبين بالظلام
والسقـــــام
انساننا مريـــض بالعمـــى
كيف السبيل للضياء والعمى سلاسل جمرية العرى
ايامنـــا الجديدة
منـــارة بعيـــدة
وخير ما فى نورها حياة لا تمارس النبات
سيان عندها الممات والحياة
ولكن العمى سلاسل تدثر الثرى

٤ ـ السمتر والميموزا (١)

لمن تنور الاشجار فى المدن ؟
لمن تزغرد السفن ؟
لمن نعصر الكلام
وكل من نحبهم نجوم لفها الظلام
اطفالنا فى الحى يضحكون يلعبون
ولا حبال فى ايديهمو تشذهم لغد
لاشعاع يعبرون فوقه بحر الجماد والرماد
الى مروج الاقحوان
وكل من نحبهم عروش ميمزا محرومة من الضياء
يهدها مرور الوقت والرياح
الحزن فى اعصابنا خريطة بلا حدود
والشمس ان مضت قلنا لها « غدا سيمضى بمدك الصباح
ويبقى الحزن فى اعصابنا خريطة بلا شمال او جنوب
بـــلا شروق او غروب »
ايام من نحبهم تـــذوب
فى الوقت والريـــاح
ايامـــهم حبـــــوب
والشق فى ضلوعنا غضوب
لان سمتر التاوة استطال فى القلوب
لان الليل يطمس الاضواء والالوان

---

(١) الميموزا : نوار اصفر ينفتد شجره فى الغابات ويعبق شذاه الفواح فى فصل الربيع بكثرة .

محمد ابراهيـم بوعلـو

المحـــراث ...

(اقصـــوصة)

((السحب الكثيفة التى اجتازت افقنا هذه الايام تنبيء عن ميعاد سقوط امطار غزيرة .. ولعل مطر هذه السنة سيكون مخصبـــا.. والارض الندية تحتاج ، عادة الى حرث ..)) ذلك ما اخذ (هشوم) يفكر فيه وهو يتجول في سوق (الكاموني) حتى اذا ما خطر ببالـــه الحرث تذكر انه يحتاج الي محراث جيد ، فمحراث السنة الماضية قد تلفت سكته ، ولم تعد حادة بالقدر الذى تنفذ فيه فى الارض ..

واقترب من (احمد) صانع المحاريث ، حيث اخذ ينقل نظراتـــه من محراث لاخر من غير ان يختبر اى واحد منها الى ان صاح فيـــه احمد قائلا فى تعجب :

« مضى عليك زمن طويل لم تاخذ منى اى محراث .. جـــربه هذا يا هشوم »•

ــ انى اريد سكة فقط ..

ــ لا عليك اذا ما اخترت محراثا بكامله .. ان ثمنه زهيــــد هذه السنة •

ــ اريدك أن تصنع لى سكة لمحراثى .. سكة من النوع الذى اخذته منك منذ مـــدة ..

ــ ليكن .. ولكن لا باس من ان تاخذ محراثا آخر ، حتـــى اذا ما تعطل محراثك القديم استطعت ان تستعين بالجديد .. وهكــذا لن تتوقف عن العمل ..

ــ انت تصمم على ان آخذ محراثا جديدا .. ؟

ــ نعم .. لان ذلك فى صالحك ..

ــ والسكة .. ؟ هل ستصنع لى سكة ..

ــ نعم • من الان ..

وانحنى احمد على قطعة الحديد اخذ يختبرها بين يديه .. ثــم اقترب من النار حيث (الصانع) جالس على ركبتيه .. اشار عليــه بان يلهب النار وهو يرمى •

اخذ الصانع يزند النار بالمنفاخ الكبير ، يحركه فى نغمات رتيبــة متواصلة .. وشرارات النار تتطاير من حوله .. وهو يتفرس فــى هشوم الذى كان فى هذه الاثناء يمسك محراثا من قبضتيه ، وهـــو يختبره ، وعندما امعن النظر فى كعب المحراث بدا له ان الكعب ليست من الجودة بحيث ترغبه فى اقتناعه ، ولذا اقترب من محراث آخـــر بعد ان تاكد من جودة الكعب نظر الى الاذن هذه المرة ، ثم مسكهـــا

بيده وهو ينقر عليها بظفره الغليظة .. ولكنه عندما امر يده على السكة لم تعجبه .. وتذكر سكة محراثه القديم .. التى لم يرقط واحدة، مثلها ، ولعله لن يرى شبيهة لها مرة اخرى . حقا ، لقد استغلها مدة طويلة واعارها لبعض جيرانه عدة مرات قبل ان تعرف العطب .. ان (احمد) صانع سكك ماهر وفى امكانه ان يصنع له سكة مثل القديمــة او احسن .. ولكن ترى لماذا ينصحه بان يشترى محراثا جديدا .. ؟

وقال له احمد : « الم تشرع بعد فى العمل .. » ان التربة ندية ، وكثيرون حرثوا ارضهم .. واجابه هشوم : « لم اشرع بعد .. انى انتظر ان ترتوى الارض .. ان زخات قليلة من المطر لا تكفــى .. انا لا اريد ان تضيع بدورى .. حقا .. اننى ساحرث الارض .. لاننــى اقول لنفسى دائما . الاحسن للمرء ان يحرث ارضه ، ويبذرها قمحا ، حتى لا يحصد عشبا لما يحصد الاخرون قمحا .. ولكن ينبغــى ان يكون القمح من نوع جيد .. ولذا انتظر مطرا غزيرا قبل ان احرث .. « ثم جلس على البردعة الجديدة التى اشتراها هذا الصباح .. وهـــو يسمع احمد يضيف الى كلامه وهو يبتسم .. « وسكة جيدة .. »

فاجابه هشوم : « وسكة جيدة .. الله يبارك فيك »

واخرج احمد قطعة الحديد من النار بالكلبتين ، حيث وضعها على السندان واخذ يطرقها طرقات متوالية وهو يحركها من حين لاخر .. ثم ارجعها الى النار مرة اخرى ، وهو يوصى (الصانع) بالنفخ .

وقال هشوم : « ليس غيرك فى هذه السوق من يحســــن صنع السكك .. ولا شك ان ربحك فيها كثير .. »

وتنهد احمد قبل ان يقول : « ليس بما فيه الكفاية ..

« ماذا هناك .. ؟ »

« كان يمكن ان اربح كثيرا لولا ..» واشار الى حداد آخر ..

ــ من اين اتـى ؟

ــ من المدينة .. لقد ترك دكانه هناك ، واخذ يضايقنى ..

ــ الدنيا لا تخلو من منغصات ..

ــ ولكن الرزق مقسم بين العباد .. انى ابيع بثمن زهيد ، لا يستطيع هو أن يبيع به ، هل ستشترى محراثا ..

ــ بكل صراحة ليس معى مال .. اذا ما امهلتنى الى الاسبوع القادم ربما يتوفر لى ما اشترى به المحراث ..

ــ لا عليك يا هشوم اختر لك محراثا ، ولا تدفع ثمنه الا فى الوقت الذى تشاء .

ــ شكرا لك .. اننى افضل الا آخذه الا اذا دفعت ثمنه .. انت تعرف طبعى .. اننى لا استدين ..

ــ كما تريـد ..

وفكر احمد انه يريد ان يكتفى بمحراثه القديم .. حيث يدخـل عليه بعض الأصلاحات كالسكة مثلا .. ولكن كيف السبيل الـى دفعه لشراء محراث جديد .. ؟

وفكر هشوم : « ينبغى الا اثقل كاهلى بالديون حقا ، من الأفضل ان يحتفظ المرء بمحراث حتى اذا ما تعطل القديم لم يتوقف عن العمل.. ولكن ما دمت اشتغل بنفسى ، فإن العمل مهما توقف فاننى لن اخسر شيئا ، سأقوم بعمل آخر حتى يقوم يوم السوق واذ ذاك اشترى محراثا آخر .. ان احمد صانع ماهر للمحاريث اذا ما صنع لـك سكة فانك لن تحتاج الى سكة اخرى مدة طويلة من الزمن .. »

وساله احمـد :

هل المحراث القديم هو من صنع يدى .. ؟
فاجابــه هشــوم :
ــ نعــم ..
ــ ولكن مضى عليه زمن طويل .. طويل .. لا شك انه تلف ..
ــ لا .. فى استطاعته ان يقاوم مدة سنة اخرى او سنتين ..
ــ ان سكة جديدة تحتاج الى محراث جيد ..
ــ ليس دائما .. ان محراثى القديم اصبحت معتادا عليه ... وقبضتاه اصبحتا املستين .. وبذلك استطيع ان اعمل به بسهولة ، فى حين اذا ما استعملت محراثا جديدا كل الجدة .. انت تعمــل العواقــب ...

ــ لا .. انا اريد سلامتك .. انما ارتايت انه من الاحسن ان تاخــذ محراثا آخر ، ولو على سبيل الاحتياط ..

واخرج السكة من النار اخذ يطرقها ، هذه المرة ، بسرعة وهو يستعين بالصانع الذى كان يتناوب معه على الطريق ..

وردد هشوم فى داخله : « اطرق الحديد وهو ساخن .. واحرث الارض وهى مرتوية .. »

وغطس احمد السكة فى الماء لتبرد قليلا .. ثم بحث عن سلــك انفذه فى عين السكة وسلمها هشوم وهو يوصيه بان يحتاط منهــا حتــى لا تكويــه ..

وتسلمها هشوم منه بيده اليسرى ، وهو يدخل يده اليمنى فى جيبه .. وسرعان ما تذكر بانه لم يبق معه مال ، فلقد اشتــرى بــه البردعة هذا الصباح واحتار فى امره واضطرب كثيرا ، الى ان خطــر

له ان يترك البردعة كرهان . ولكن احمد فاجاه وهو فى حيرته بقوله : « اذا لم يكن معك شىء .. فالى السوق القادم »

ـ ان القضية هى انى اشتريت البردعة .. اذا احببت ان تتركها عندك الى ان ..

ـ لا .. لا عليك ، يا هشوم .. خذ سكتك وبردعتك .. فالسحب الكثيفة تلح عليك فى الاسراع .. هيا .. اسرع ..

ومضى هشوم يحمل السكة بيد والبردعة بالخرى وهو يتمتم بالفاظ متعددة : « اشكرك .. السحب .. الحرث .. السكـة .. اشكرك .. »